جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٧هـ / ١٩٩٦م

ح دار طويق للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

حقي، احمد معاذ
الأربعون حديثاً في الأخلاق - الرياض
٠٠ ص ؛ ٠٠ سم
ردمك ٤-٠٨-٦٤٦-٩٩٦٠
١- الأخلاق الإسلامية ٢ - الحديث - جوامع الفنون أ- العنوان
ديوي ٢١٢ ١٧/٠٢١٧

رقم الايداع : ١٧/٠٢١٧
ردمك : ٤-٠٨-٦٤٦-٩٩٦٠

دار طويق للنشر والتوزيع
الرياض - الناصرية - شمال مبنى وزارة الخارجية
ص ب ٣١٩٣٤ - الرياض ١١٤١٨
هاتف : ٤٠٤٢٥٥٥ - فاكس : ٤٠٣٤٢٣٨

الأربعون حديثاً في الأخلاق

مع شرحها

تأليف

أحمد معاذ حقي

الناشر

دار طويق للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى والدي الذي غرس في حب العلم وأهله

أهدي ثمار ما أفاء الله علي من غرسه وفضله

وكان رجائي أن أهدي إليه في حياته ولكن

شاء الله أن يختاره

فأدعو الله الكريم أن يتقبل هذا العمل ويجعل

ثوابه في ميزان حسناته

محمد معاذ

المقدمة

الحمد لله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى، وعلى آله وصحبه السادة المجتبين الأخيار، ومن تبعه واقتفى أثره.. وبعد:

فإني لما رأيت جماعة من السادة العلماء الأعلام، والأئمة الفضلاء الأخيار، قد صنفوا كتباً في الأربعينات في مختلف الموضوعات، آثرت الاقتداء بهم والسير على منوالهم، لعل الله يحشرني في زمرتهم، «هم القوم لا يشقى لهم جَليسٌ»(١).

فتوكلت على الله وجمعت أربعين حديثاً في الأخلاق، معظمها مما رواه الشيخان، والتزمت أن أورد الأحاديث الصحيحة، ولما رأيت كتب الأخلاق بين مطول يتكاسل الناس في زماننا هذا عن قراءتها، وبين كتب متخصصة في أبواب معينة، رأيت أن أشرح الأحاديث التي أوردتُها، وأن أركز على موضوع الباب الذي ورد الحديث فيه، وآثرت في شرح

---

(١) رواه الترمذي في سننه: الدعوات/ ١٣٠، ح (٣٦٠٠)، ٥/٥٧٩ ـ ٥٨٠ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

موضوع الباب أن أستظل بظل الكتاب والسنة، ولذلك أكثرت من إيراد الأدلة وحشدتها في الموضوع الواحد، لأن العصمة في الكتاب والسنة، واستشهدت أيضاً بأقوال العلماء الأجلاء والسلف الصالح، واقتطفت صوراً من حياتهم لما لها من وقع في النفوس.

ويروى أن أول من صنف في الأربعينات عبدالله بن المبارك، ثم محمد بن أسلم الطوسي، ثم الحسن بن سفيان النسائي. وممن صنف فيها أبوبكر الآجري، وأبوبكر بن إبراهيم الأصبهاني، والدارقطني، والحاكم، وأبونعيم، وأبوعبدالرحمن السلمي، وأبوسعيد الماليني، وأبوعثمان الصابوني، وعبدالله بن محمد الأنصاري، والبيهقي(١)، وابن عساكر، والنووي، والذهبي.. وخلائق لا يحصون من المتقدمين والمتأخرين.

ولقد كان لتصنيفاتهم هذه مستند من السنة، منه الحديث الذي روي بروايات متعددة، أن رسول الله ﷺ قال: **«من حفظ على أمتي أربعين حديثاً ينفعُهُم الله بها، قيل له: ادخل من أيِّ أبواب الجنة شئت»**(٢). وفي بعض الروايات **«بعثه الله يوم**

---

(١) راجع (شرح الأربعين حديثاً النووية): ص/ ٤.

(٢) رواه ابن عساكر في (كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين): ص/ ٣٢.
وقال: وقد روي معنى هذا الحديث من وجوه عن عبدالله بن عباس، وعن أمير المؤمنين علي، وعن أبي الدرداء، وعن عبدالله بن عمر، ومعاذ بن جبل، وأبي هريرة وغيرهم رضي الله عنهم.

القيامة فقيهاً عالماً»[١]. قال النووي: (وقد اتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه، وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، ومع هذا فليس اعتمادي على هذا الحديث، بل على قوله ﷺ: **«ليبلغ الشاهد منكم الغائب»**[٢]، و**«نضَّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأدَّاها كما سمعها»**[٣])[٤].

والله أسأل أن يجعل أعمالنا وفق شرعه القويم، ويحسن نياتنا لوجهه الكريم، ويتقبل منا أعمالنا بقبول حسن، إنه على ما يشاء قدير.

أحمد معاذ علوان حقي
غرة محرم ١٤١٤هـ
الريـــاض

---

(١) أورد هذا الحديث بدون سند البيهقي في (كتاب الأربعون الصغرى): ص/٢٢ وقال: إنه روي بأسانيد واهية. وأورده النووي في مقدمة (الأربعين): ص/٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: العلم/٩، ١/٢٤ ـ ٢٥ العلم/٣٧، ١/٣٤ ـ ٣٥، ومسلم في صحيحه: قسامة/ ٩، ح (٢٩)، ح (٣٠)، ٣/١٣٠٥ ـ ١٣٠٦.

(٣) رواه الترمذي في سننه: العلم/٧، ح (٢٦٥٦)، ح (٢٦٥٧)، ٥/ ٣٣ ـ ٣٤. بألفاظ متقاربة. وقال عن الحديث الأول حديث زيد بن ثابت حديث حسن. وعن الثاني حديث حسن صحيح. ورواه أبو ماجه في سننه: المقدمة/ ٢٢، ح (٢٥٠)، ١/ ٥٠.

(٤) (شرح الأربعين حديثاً النووية): ص/ ٤ ـ ٧.

باب حسن الخلق

١ ـ عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: لم يكن رسول الله ﷺ فَاحِشاً ولا مُتَفَحِّشاً. وإنَّهُ كان يقولُ: «إنَّ خِيارَكم أحاسِنُكُم أَخْلاقاً».

[متفق عليه][1]

قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٤].

الخُلُقُ: بضم الخاء واللام ويجوز سكونها، قال الراغب: الخَلْقُ والخُلق بالفتح والضم في الأصل بمعنى واحد كالشَرب والشُرب، لكن خص الخَلق الذي بالفتح بالهيئات والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلق بالضم بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة[2].

وقال القرطبي: (الأخلاق أوصاف الإنسان التي يتعامل بها غيره، وهي محمودة ومذمومة، فالمحمود على الإجمال أن

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: الأدب/ ٣٩، ٧/ ٨٢، ومسلم في صحيحه: الفضائل/١٦، ح (٦٨)، ٤/ ١٨١٠.

(٢) راجع (الذريعة إلى مكارم الشريعة): ص/ ١١٣.

تكون مع غيرك على نفسك فتنصف منها، ولا تنصف لها، وعلى التفصيل: العفو، والحلم، والجود، والصبر، وتحمل الأذى، والرحمة، والشفقة، وقضاء الحوائج، والتوادد، ولين الجانب، ونحو ذلك، والمذموم منها ضد ذلك)(١).

وروي عن ابن المبارك ـ رحمه الله ـ أنه وصف حسن الخلق فقال: (هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكفُّ الأذى)(٢).

وقد تبوَّأت الأخلاق مكانة رفيعة في الإسلام، فمن أهم رسالة هذا الدين إتمام مكارم الأخلاق **«إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**(٣). ومن أجل ذلك فقد جعل الله الأخلاق مقياساً للخيرية **«إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً»**. ومن كمال الإيمان **«أكمل المؤمنين إيماناً أحسنُهُم خلقاً»**(٤) وأكثر ما يثقل الميزان يوم القيامة بالحسنات هو الأخلاق **«ما من شيء أَثْقَلُ في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخُلق»**(٥). **«وإن صاحب حسن**

---

(١) (فتح الباري): ١/ ٤٥٦.

(٢) رواه الترمذي في سننه: كتاب البر/ ٦٢، ح (٢٠٠٥)، ٤/ ٣٦٣.

(٣) روى ابن أبي الدنيا في (مكارم الأخلاق)، ح (١٣)، والحاكم في (المستدرك): ٢/ ٦١٣ بلفظ (بعثت لأتم مكارم الأخلاق). وقال حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٤) رواه الترمذي في سننه: الرضاع/ ١١، ح (١١٦٢)، ٣/ ٤٥٧، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد في مسنده: ٢/ ٤٧٢.

(٥) رواه الترمذي في سننه: البر/ ٦٢، ح (٢٠٠٢)، ٤/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

الخُلق ليبلُغُ به درجة صاحب الصوم والصلاة»[١]. وهي أكثر أسباب دخول الجنة، (سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدْخِلُ الناس الجنة؟ قال: «**تقوى الله وحُسن الخُلق**»[٢]) فوق كل هذا وذاك فبحسن الخُلق تُنال محبّة المصطفى ﷺ، والقرب منه مجلساً يوم القيامة وإنها لغاية عظيمة «**إنَّ من أحبّكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحَاسِنُكُم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلـيَّ وأبعـدكـم منـي مجلسـاً يـوم القيـامـة الثَّـرثَـارُون**[٣] **والمُتَشَدِّقُون**[٤] **والمتفيهقون**[٥]**»**[٦].

واعلم أنه ما من خُلقٍ كريمٍ ولا فعلٍ جميلٍ إلا وقد وصله الله بالدين[٧].

وروى ابن أبي الدنيا عن حميد بن هلال قال: «دخلتُ

---

(١) رواه الترمذي في سننه: البر/ ٦٢، ح (٢٠٠٣)، ٤/ ٣٦٣. وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

(٢) رواه الترمذي في سننه: البر/ ٦٢، ح (٢٠٠٤)، ٤/ ٣٦٣. وقال حديث حسن صحيح.

(٣) الثرثار: هو كثير الكلام تكلفاً (رياض الصالحين): ص٢٣٣.

(٤) المتشدق: المتطاول على الناس بكلامه ويتكلم بملء فيه تفاصحاً وتعظيماً لكلامه. (رياض الصالحين): ص/ ٢٣٣.

(٥) المتفيهق: أصله من الفهق وهو الامتلاء، وهو الذي يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه ويغرب به تكبراً وارتفاعاً وإظهاراً للفضيلة على غيره، (رياض الصالحين) ص٢٣٣.

(٦) رواه الترمذي: سننه: البر/ ٧١، ح (٢٠١٨)، ٤/ ٣٧٠. وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٧) راجع (مكارم الأخلاق): ص/ ٩.

الكوفة وجلست إلى الربيع بن خيثم، فقال: ياأخا بني عدي، عليك بمكارم الأخلاق، فكن بها عاملاً، ولها صاحباً، واعلم أن الذي خلق مكارم الأخلاق لم يخلقها ولم يدل عليها حتى أحبَّها وحببها إلى أهلها»[١].

وقال سعيد بن العاص: «يابَنيَّ إن المكارم لو كانت سهلة يسيرة لسبقكم إليها اللئام، ولكنها كريهة مُرَّة، لا يصبر عليها إلا من عرف فضلها ورجا ثوابها»[٢].

وقال الفضيل بن عياض: «إذا خالطت فخالط حسن الخلق، فإنه لا يدعو إلا إلى الخير، وصاحبه في عناء، ولأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إليَّ من أن يصحبني قارىء سيىء الخلق، إن الفاسق إذا كان حسن الخلق عاش بعقله، وخف على الناس، وأحبّوه، وإن العابد إذا كان سيىء الخلق ثقل على الناس ومقتوه»[٣].

وقال الأصمعي: «لمَّا حضرتْ جدي علي بن أصمع الوفاةُ جمع بنيه فقال: يابَنيَّ عاشروا الناس معاشرة إن غبتم حَنّوا إليكم، وإن متُّم بَكوا عليكم»[٤].

وقال ابن القرِّية: «تأدبوا فإن كنتم ملوكاً سُدتُم، وإن

---

(١) (مكارم الأخلاق): ص/ ١١ ـ ١٢.
(٢) (مكارم الأخلاق): ص/ ١٢.
(٣) (روضة العقلاء): ص/ ٦٤.
(٤) (مكارم الأخلاق): رقم (١٢)، ص/ ٣.

كنتم أوساطاً رُفِعتُم، وإن كنتم فقراء استغنيتم»[١].

وخير ما يورِث الآباء الأبناء السيرة الحسنة، وفي قصة الخضر مع نبي الله موسى ـ عليه السلام ـ ندرك أهمية ذلك، فعندما قدما القرية واستطعما أهلها، فأبوا أن يضيفوهما وجدا فيها جداراً يريد أن ينقضَّ فأقامه، فقال له موسى ـ عليه السلام ـ: لو شئت لاتخذت عليه أجراً، وبين له الخضر أن الجدار ليتيمين كان أبوهما صالحاً، وبسبب صلاح الأب أقام الجدار. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف: ٨٢].

وقال بعض الحكماء: أفضل ما يورِّث الآباء الأبناءَ: الثناء الحسن، والأدب النافع والإخوان الصالحون[٢].

أسأل الله أن يهدينا وإياكم لأحسن الأخلاق، والأعمال، والأقوال، وأن يحسن عاقبتنا إنه جواد كريم.

---

(١) (أدب المجالسة)، ص/١٠٥.
(٢) (أدب المجالسة): ص/١٠٦.

بـاب مصـدر الأخـلاق

٢ ـ عن النَّواس بن سَمْعَان الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن البرِّ والإثم؟ فقال: «البرُّ حُسْنُ الخُلُقُ، والإثْمُ مَا حَاكَ في صَدْرِكَ وكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عليه النَّاسُ».

[رواه مسلم][1]

قال الله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ ﴾ [الشمس: ٧ ـ ٨].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ ﴾ [البلد: ٨ ـ ١٠].

قال العلماء: «البر يكون بمعنى الصلة، وبمعنى اللطف، والمبرة، وحسن الصحبة، والعشرة، وبمعنى الطاعة، وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق»[2].

يتبين من حديث الباب أن مصدر الأخلاق هو الفطرة، وقد بيَّن القرآن الكريم أن النفس الإنسانية مستودع قانون

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: البر/٥، ح (١٤)، ٤/ ١٩٨٠.

(٢) (صحيح مسلم بشرح النووي): ١٦/ ١١١.

أخلاقي فطري نفخ فيها منذ الخلق الإحساس بالخير والشر، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٧ ـ ٨]. ولقد هُدي الإنسان معرفة الفضيلة والرذيلة بواسطة البصيرة التي لديه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد: ٨ ـ ١٠]، ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان: ٣].

إذاً فالإنسان عنده حس باطني يدرك به طريقي الخير والشر، قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾ [القيامة: ١٤ ـ ١٥].

ولكننا نجد أن هذا النور الفطري تفسده العادات الاجتماعية الموروثة، وتغيره البيئة الاجتماعية، قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه ـ عزوجل ـ: «**إني خلقت عبادي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وإنهم أَتَتْهُمْ الشياطين فَاجْتَالَتْهُمْ عن دينهم، وحرَّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم**»[1]، ويقول ﷺ: «**ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء**»[2].

كما أن المصالح الذاتية والأهواء أيضاً من شأنها أن تلقي على نور بصيرتنا أنواعاً من الظلام، وحتى في غياب هذه

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: الجنة/١٦، ح (٦٣)، ٤/٢١٩٧.
(٢) رواه البخاري في صحيحه: التفسير/ سورة الروم، ٦/٢٠.

المصالح والأهواء فإن الفطرة تظل قاصرة في مجال الأخلاق إذا اعتمدنا عليها وحدها.

ومن أجل ذلك اقتضت حكمة الباري بأن يتم هذا النور الفطري بالوحي الإلهي ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥].

بابٌ في التَّخَلُق بأَخْلاق القُرآن

٣ ـ سأل سعد بن هشام بن عامر عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقال: (ياأمَّ المؤمنين! أَنْبِئِيني عن خُلق رسولِ الله ﷺ، قالتْ: ألستَ تَقرَأُ القرآن؟ قُلتُ: بلى. قالت: فإنَّ خُلُق نَبيِّ اللهِ ﷺ كانَ القُرآن).

[رواه مسلم][(١)]

قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

قال النووي في معنى الحديث: «معناه العمل به والوقوف عند حدوده، والتأدب بآدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبره وحسن تلاوته»[(٢)].

وقد ذكرنا في باب مصدر الأخلاق أنه وإن كان معرفة الخير والشر مما فطر عليه البشر إلا أننا نجد أن هذا النور الفطري ناقص وتفسده العادات الاجتماعية، ولذلك اقتضت حكمة الباري بأن يتم هذا النور الفطري بالنور الإلهي، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: صلاة المسافرين/١٨، ح (١٣٩)، ١/٥١٣.

(٢) (صحيح مسلم بشرح النووي): ٦/٢٦.

نُورٌ﴾ [النور: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥﴾ [المائدة: ١٥]، فما على المسلم إلا أن يقرأ القرآن ويمتثل لأمر الله، فيتبع ما أمر، ويجتنب ما نهىٰ.

وقد حاول الفلاسفة أن يسدوا هذا النقص الفطري، فحاولوا إيجاد قواعد وضوابط للأخلاق، ولكن ظلت هذه القواعد غير مطردة، إذ من المستحيل تحديد السلوك الإنساني وفق قاعدة واحدة، ومن أجل ذلك نجد في الإسلام أن الخير باتباع أوامر القرآن وهدي المصطفى ﷺ، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥﴾ [المائدة: ١٥]، وقال ﷺ: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما، كتاب الله وسنة نبيه**»(١).

وهناك قواعد إسلامية جزئية خاصة ببعض العادات أو التصرفات منها:

١ ـ الاعتدال في المأكل والمشرب والإنفاق دون إفراط أو تفريط، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧﴾ [الفرقان: ٦٧].

٢ ـ التسابق في فعل الخيرات، قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾

---

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ: النهي عن القول في القدر، ح(١٦١٩)، ص/٦٤٨.

[البقرة: ١٤٨].

٣ ـ التعاون على الخير وعدم التعاون على الشر، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة: ٢].

٤ ـ الرفق في المعاملة قال رسول الله ﷺ لعائشة: **«إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يُنْزَع من شيء إلا شانه»**(١).

٥ ـ أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير. **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**(٢).

٦ ـ عدم اتخاذ شيء فيه الروح غرضاً يرمىٰ إليه كالغرض من الجلود وغيرها **«لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً»**(٣).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: البر/ ٢٣، ح (٧٨)، ٤/ ٢٠٠٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: الإيمان/ ٧، ١/ ٩.

(٣) رواه مسلم في صحيحه: الصيد/ ١٢، ح (٥٨)، ٣/ ١٥٤٩.

باب الإخلاص وإحضار النية

٤ ـ عن عمرَ بن الخطَّاب ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّما الأعْمَالُ بالنِّيات، وإنَّما لكلِّ امرىءٍ ما نوىٰ فَمَنْ كانتْ هِجْرتُهُ إلى دُنيا يُصيبُها، أو إلى امْرَأةٍ يَنْكِحُهَا فهجرتُهُ إلى ما هَاجَرَ إليه».

[متفق عليه][١]

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥]. وقال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧].

قال النووي: «النية: القصد، وهي عزيمة القلب»[٢].

ومعنىٰ حديث الباب أنه لا صحة للأعمال إلا بالنية، وقد ورد في كتاب الله ما يشير إلى ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: بدء الوحي/١، ١/٢. ومسلم في صحيحه: الإمارة/٤٧، ح (١٥٨)، ٣/١٥١٥.
(٢) (فتح الباري): ١/١٣.

[الأحزاب: ٥]، وقال سبحانه: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧].

قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: «معناه ولكن يناله النيات منكم»[١].

وقد «أجمع المسلمون على عظم موقع هذا الحديث، وكثرة فوائده وصحته، قال الشافعي وآخرون: هو ثلث الإسلام، وقال الشافعي: يدخل في سبعين باباً من الفقه، وقال آخرون: هو ربع الإسلام، وقال عبدالرحمن بن مهدي وغيره: ينبغي لمن صنف كتاباً أن يبدأ فيه بهذا الحديث تنبيهاً للطالب على تصحيح النية»[٢].

والنية إحدى العناصر الرئيسية للأخلاق، إذ كل حركة أو سكون اختياري لا يتمّ إلا بثلاثة أمور: علم، وإرادة، وعمل، **والأعمال تنقسم إلى ثلاثة أقسام:**

١ ـ **الطاعات**: وهي مرتبطة بالنية في أصل صحتها وفي تضاعف فضلها.

٢ ـ **المباحات**: وهي أيضاً مرتبطة بالنية، فتجعلها من الطاعات، أو من المعاصي، وفي الحديث «**الخيل لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل**

---

(١) (بستان العارفين): ص/ ٢٣.

(٢) (صحيح مسلم بشرح النووي): ١٣/ ٥٣.

وزر»[١].

٣ ـ **المعاصي**: «وهي لا تتغير عن موضوعها بالنية، فلا ينبغي أن يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**» فيظن أن المعصية تنقلب طاعة بالنية، كالذي يغتاب إنساناً مراعاة لقلب غيره، أو يطعم فقيراً من مال غيره»[٢].

وللنية درجات هي:

١ ـ **مرحلة الخاطر أو حديث النفس**: لا يملك الإنسان أن يدفعها عن نفسه، فالله برحمته ومنّه تجاوز لهذه الأمة عن حديث النفس والخواطر إذا لم تستقر؛ لحديث رسول الله ﷺ: «**إن الله تجاوز لأمتي ما حَدَّثَتْ به أنفُسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به**»[٣].

٢ ـ **مرحلة الهم بالعمل**: وفي هذه الحالة يؤجر صاحب النية الحسنة إذا هم بحسنة ولم يعملها، وإذا عملها كتبت له عشر حسنات إلى أضعاف مضاعفة، والأمر يختلف بالنسبة للسيئات، فمن نوى على شر ولم يعمله لم تكتب له سيئة، وإذا لم يعمله من أجل الله كتبت له حسنة، وإذا عمله كتبت له سيئة واحدة، وهذا من فضل الله على عباده، قال

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: المساقاة/١٢، ٣/٧٩.
(٢) إحياء علوم الدين): ٤/٣٣٧ ـ ٣٣٨.
(٣) رواه مسلم في صحيحه: الإيمان/٥٨، ح (٢٠١)، ١/١١٦.

رسول الله ﷺ: «**يقول الله: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تَكْتُبُوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة**»(١).

٣ ـ مرحلة العزم والإصرار على الفعل: ففي هذه الحالة ـ والله أعلم ـ أن يعطى أجر الفاعل إذا حالت دون ذلك موانع خارجة عن إرادته وقوته، ولم يألُ جهداً في سبيل ذلك، وفي الحديث: «**إنَّ أقواماً بالمدينة خَلْفَنا، ما سلكنا شعْباً، ولا وادياً إلا وهم معنا فيه حبسهم العذر**» وفي رواية «**إلا شَرِكوكم في الأجر**»(٢).

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يخلص نياتنا لوجهه الكريم، ويجعل عملنا وفق شرعه القويم.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: التوحيد/ ٣٥، ٨/ ١٩٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه الجهاد/ ٣،٣٥/ ٢١٣، ومسلم في صحيحه، الإمارة/ ٤٨، ج (١٥٩)، ٣/ ١٥١٨.

بـاب حـب الله

٥ ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجدَ بِهِنَّ حَلاوةَ الإيمان: مَن كانَ الله ورسولُهُ أحبَّ إليه ممَّا سِواهُمَا، وأنْ يُحبَّ المرءَ لا يُحبُّهُ إلا لله؛ وأنْ يَكرهَ أن يَعُودَ في الكفرِ بعد أن أنقذَهُ الله مِنْهُ كما يكرَهُ أن يُقذَفُ في النَّارِ»

[متفق عليه][1]

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

هذا حديث عظيم، أصل من أصول الإسلام، قال العلماء ـ رحمهم الله ـ: معنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في رضا الله ـ عزوجل ـ، ورسوله ﷺ، وإيثار ذلك على عرض الدنيا، ومحبة العبد ربه سبحانه وتعالى بفعل طاعته وترك مخالفته، وكذلك محبة رسول الله ﷺ. قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: هذا الحديث بمعنى الحديث المتقدم ذاق

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: الإيمان/٩، ١/٩ ـ ١٠، ومسلم في صحيحه: الإيمان/ ١٥، ح (٦٧)، ١/ ٦٦ واللفظ له.

طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً، وذلك أنه لا تصح المحبة لله ورسوله ﷺ حقيقة وحب الآدمي في الله ورسوله ﷺ وكراهة الرجوع إلى كفر إلا لمن قوي بالإيمان يقينه، واطمأنت به نفسه، وانشرح له صدره، وخالط لحمه ودمه، وهذا هو الذي وجد حلاوته»(١).

وإذا تأمل المرء وجد أن جميع ما به من نعم فمن الله فهو المنعم والمتفضل عليه، وهو الذي أوجده من العدم، ووهبه السمع، والبصر، والقوى، والعلم، والمال، والجاه، فهو رب رحيم، وإله كريم، ورازق حكيم، إلى غير ذلك من صفات الكمال والجلال، كل ذلك يقتضي أن يُحبَّ الله الحب كله وأخلصه، حتى يحب ما أحبه الله، ويكره ما كرهه الله، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]. وفي الحديث: «**لا يُؤمن أحدُكُم حتى يكون هواهُ تبعاً لما جِئْتُ به**»(٢)، فإذا استقر الحب في القلب تبدأ الجوارح بمقتضى هذا الحب والكره.

---

(١) (صحيح مسلم بشرح النووي): ٢/١٣ ـ ١٤.

(٢) رواه البغوي في (شرح السنة): باب رد البدع والأهواء، ح (١٠٤)، ١/٢١٣ وقد تكلم في سنده وبسط القول في ذلك ابن رجب في (جامع العلوم): ص/٣٣٨ ـ ٣٣٩ وبيَّن أن معناه صحيح وقد ورد الكتاب والسنة بمثله. وقال النووي: حديث حسن صحيح ورويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح (شرح الأربعين حديثاً النووية): ص/١٠٧.

«ومحبة الله على قسمين: فرض وندب.

فالفرض: المحبة التي تبعث على امتثال أوامره والانتهاء عن معاصيه، والرضا بما يقدره، فمن وقع في معصية من فعل محرم أو ترك واجب فلتقصيره في محبة الله، حيث قدم هوى نفسه، والتقصير تارة يكون مع الاسترسال في المباحات والاستكثار منها، فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجاء فيقدم على المعصية، أو تستمر الغفلة فيقع، وهذا الثاني يسرع إلى الإقلاع مع الندم، وإلى الثاني يشير حديث: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[(١)].

والندب: أن يواظب على النوافل، ويتجنب الوقوع في الشبهات، والمتصف عموماً بذلك نادر»[(٢)].

ودلت الآثار على أن محبة الله كافية في حصول النجاة، فإن رجلاً سأل النبي ﷺ متى الساعة يارسول الله، قال: «ما أَعْدَدْتَ لها؟ قال: ما أَعْدَدْتُ لها من كثير صلاةٍ، ولا صوم، ولا صدقةٍ، ولكني أُحبُّ الله ورسولَهُ، قال: أنت مع مَنْ أَحْبَبْتَ»[(٣)]

ومن علامات حب الله اتباع أوامره، واجتناب نواهيه، أما

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه: الفتن/٣، ح (٣٩٨٤)، ٢/ ٣٦٥.
(٢) (فتح الباري): ١/ ٦١.
(٣) رواه البخاري في صحيحه: الأدب/٩٦، ٧/ ١١٣.

ما يدعيه بعض الفسقة من محبة الله ويقترفون الآثام فهذا كذب وبهتان. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ﴾ [آل عمران: ٣١]. وقال الإمام الشافعي:

تعصي الإله وأنت تُظهر حبَّهُ
هذا محالٌ في القياس بَديعُ
لو كان حُبُّك صادقاً لأطعتَهُ
إنّ المُحبَّ لمن يحبُّ مُطيعُ[١]

قال أبويعقوب النهرجوري: «كل من ادعى محبة الله تعالى ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطل، وكل محب ليس يخاف الله فهو مغرور.

وقال يحيى بن معاذ: ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده.

وسئل رويم عن المحبة فقال: الموافقة في جميع الأحوال»[٢].

اللهم اجعل حبك أحب إلينا من أنفسنا وأهلنا ومالنا وولدنا ومن الماء البارد على الظمأ.

اللهم نزه قلوبنا عن التعلق بمن دونك، واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك.

---

(١) (ديوان الإمام الشافعي): ص/ ٥٥.
(٢) (جامع العلوم): ص/ ٣٤٠.

باب حب الرسول ﷺ

٦ ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أحدُكُم حتَّى أكُونَ أحَبَّ إليهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ».

[متفق عليه](١)

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤].

معنى «لا يؤمن» أي إيماناً كاملاً.

اعلم أخي المسلم المحب لهذا النبي الكريم ﷺ أن محبته تابعة لمحبة الله ومن ثمارها، ويجب على المسلم أن يقدم محبة الرسول ﷺ على نفسه، وماله، ووالده، وولده، والناس أجمعين، قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ للنبي ﷺ: يارسول الله لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: الإيمان/٨، ١/٩، ومسلم في صحيحه: الإيمان/١٦، ح (٧٠)، ١/٦٧.

فقال النبي ﷺ: «**لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك**»، فقال له عمر: فإنك الآن والله لأنت أحب إليَّ من نفسي، فقال النبي ﷺ: «**الآن ياعمر**»[(١)].

وتأتي محبة شخص لآخر إما لصفات حميدة يتحلى بها، أو لما يسديه إليه من خير. فالرسول ﷺ قال فيه ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]. وإذا تأمل المرء النفع الحاصل له من جهة الرسول ﷺ الذي أخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، إما بالمباشرة وإما بالسبب، علم أنه سبب بقاء نفسه البقاء الأبدي في النعيم السرمدي، وعلم أن نفعه بذلك أعظم من جميع وجوه الانتفاعات فاستحق لذلك أن يكون حظه من محبته أوفر من غيره، لأن النفع الذي يثير المحبة حاصل منه أكثر من غيره، ولكن الناس يتفاوتون في ذلك بحسب استحضار ذلك والغفلة عنه، ولاشك أن حظ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ من هذا المعنى أتم، لأن هذه ثمرة المعرفة، وهم بها أعلم، والله الموفق.

وقال القرطبي: كل من آمن بالنبي ﷺ إيماناً صحيحاً لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة، غير أنهم متفاوتون، فمنهم من أخذ من تلك الرتبة بالحظ الأوفى، ومنهم من أخذ منها بالحظ الأدنى، كمن كان مستغرقاً في الشهوات محجوباً في الغفلات في أكثر الأوقات.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: الأيمان والنذور/ ٣، ٧/ ٢١٨.

لكن الكثير منهم إذا ذكر النبي ﷺ اشتاق إلى رؤيته، بحيث يؤثره على أهل وولده وماله ووالده، ويبذل نفسه في الأمور الخطيرة، ويجد مخبر ذلك من نفسه وجداناً لا تردد فيه»(١).

ومن علامات هذا الحب أن يلتزم بسنته ﷺ، ويمتثل أمره، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وأن يستنير بنوره ويهتدي بهديه ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥﴾ [المائدة: ١٥]. ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. ويتخلق بأخلاقه ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

اللهم نور قلوبنا بحبك وحب نبيك ﷺ وحب من يحبكما.

---

(١) (فتح الباري): ١/٥٩ ـ ٦٠.

بـاب الحـب في الله

٧ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نَفْسي بيده لا تدخُلُوا الجنَّةَ حتى تُؤمِنُوا ولا تُؤمنوا حتى تَحابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكم على شيءٍ إذا فَعَلْتُموهُ تَحابَبْتُمْ؟ أفشُوا السَّلامَ بَيْنَكُم».

[رواه مسلم][1]

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩].

الحب في الله من ثمار حب الله، وهو نعمة إلهية، وإشراقة ربانية، ونور يقذفه الله في قلوب المؤمنين، ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٣].

قال المرُّوذي: «قيل لأبي عبدالله أحمد بن حنبل: ما الحب في الله؟ قال: هو أن لا تحبه لطمع في دنياه»[2].

ولهذا الحب ثمرات في الدنيا والآخرة، ومن هذه

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: الإيمان/ ٢٢، ح (٩٤)، ١/ ٧٤.

(٢) (طبقات الحنابلة): ١/ ٥٧.

الثمرات:

* أن المؤمن يشعر بحلاوة الإيمان **«ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله...»**[(١)].

* المتحابون في الله يستظلون بظل العرش. **«إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المُتَحَابُّون بجلالي؟ اليوم أُظلُّهم في ظلي يوم لا ظلَّ إلا ظلِّي»**[(٢)].

* وفي هذا اليوم العصيب هم آمنون على منابر من نور يغبطهم حتى الأنبياء والشهداء، **«المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يَغْبِطُهم النبيون والشهداء»**[(٣)]

* وفوق هذا وذاك ينالون محبة الله ـ عزوجل ـ وياسعد من نالها. وفي الحديث **«أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فَأَرْصَد الله له على مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً. فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها؟ قال: لا. غير أني أحببته في الله ـ عزوجل ـ قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته**

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: الإيمان/٩، ١/٩ ـ ١٠، ومسلم في صحيحه: الإيمان/١٥، ح (٦٧)، ١/٦٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه: البر/١٢، ح (٣٧)، ٤/١٩٨٨.

(٣) رواه الترمذي في سننه: الزهد/٥٣، ح (٢٣٩٠)، ٤/٥٩٧ ـ ٥٩٨.

فيه»[١].

ولو لم يكن من ثمار الحب في الله إلا هذا لكفى، فمن أحبه الله سيكون ربانياً، «**فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يَبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه»**[٢].

* ومن البدهي أن من أحبه الله يحبه أهل السماء والأرض، «**إذا أحب الله عبداً نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأَحِبَّه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيُحبُّه أهل السماء، ثم يُوضع له القبول في الأرض»**[٣].

* ومن ثمار الحب في الله الجنة، «**من عاد مريضاً، أو زار أخاً له في الله ناداه منادٍ أن طِبْتَ وطاب ممشاك وتَبَوَّأتَ من الجنة منزلاً»**[٤].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: البر/١٢، ح (٣٨)، ٤/١٩٨٨ ومالك في الموطأ: ماجاء في المتاحبين في الله، ح (١٧٣٢)، ص/٦٧٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: الرقاق/٣٨، ٧/١٩٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه: الأدب/٤١، ٧/٨٣، ومسلم في صحيحه: البر/٤٨، ح (١٥٧)، ٤/٢٠٣٠، والإمام مالك في الموطأ: ماجاء في المتحابين في الله، ح (١٧٣٣)، ص/٦٧٩.

(٤) رواه الترمذي في سننه: البر والصلة/٦٤، ح (٢٠٠٨)، ٤/٣٦٥ وقال: هذا حديث حسن غريب.

* أن المتحابين في الله تستمر محبتهم في الدنيا والآخرة، ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧].

ونحن في هذا العصر المادي، الذي تقاس فيه الخيرية بالموازين المادية، ما أحوجنا إلى معرفة وسائل تعميق وتكريس هذا الحب في الله، وأهمها:

* إفشاء السلام كما في حديث الباب «**أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»[(١)].

* إذا لقي الأخ أخاه فليطلق وجهه عند اللقاء، «**لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلقٍ**»[(٢)].

* إذا فارق الأخ*أخاه فليطلب منه الدعاء في ظهر الغيب، عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ استأذن النبي ﷺ في العمرة فأذن له فقال: «يأأخي لا تنسنا من دعائك، وقال بعد في المدينة: يأأخي أشركنا في دعائك، فقال عمر: ما أحب أن لي بها ما طلعت الشمس لقوله يأأخي»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: الإيمان/ ٢٢، ح (٩٣)، ١/ ٧٤.

(٢) رواه مسلم في صحيحه: البر/ ٤٣، ح (١٤٤)، ٤/ ٢٠٢٦.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده: ١/ ٢٩، ٣/ ٥٩. ورواه الترمذي في سننه: الدعوات/ ١١٠، ح (٣٥٦٢)، ٥/ ٥٥٩ ـ ٥٦٠. وقال: هذا حديث حسن صحيح.

* «إذا أحبَّ الرجلُ أخاه فَلْيُخْبِرْهُ أنه يُحبُّه»[١].

* أن يقدم الأخ لأخيه الهدية، وفي الحديث: «تَهَادوا تَحَابُّوا»[٢].

جعلني الله وإياك ممن يتحابون في الله وينالون محبته ورضاه.

---

(١) رواه أبوداود في سننه: الأدب/ ١٢٢، ح (٥١٢٤)، ٥/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

(٢) رواه الإمام مالك في الموطأ: ماجاء في المهاجرة، ح (١٦٤٢)، ص/ ٦٥٣.

باب بِرّ الوالدين

٨ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ، ثم رَغِمَ أَنْفُ، ثم رَغِمَ أَنفُ، قيل: من يارسول الله؟ قال: مَن أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عند الكِبَر، أَحدَهُما أو كِلَيْهما فَلَمْ يَدخُلِ الجنَّةَ».

[رواه مسلم][(١)]

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨].

وقال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤].

وفي هذا الباب أحاديث كثيرة في الصحاح مشهورة، فيها الحث على بر الوالدين وعظم ثوابه، وأن برهما بالخدمة، أو النفقة، أو غير ذلك سبب لدخول الجنة، فمن قصر في ذلك فاته دخول الجنة، وأرغم الله أنفه.

وهو من أحب الأعمال إلى الله بعد الصلاة في وقتها،

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: البر/٣، ح (٩)، ٤/١٩٧٨.

قال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ سألت النبي ﷺ: أيُّ العمل أحبُّ إلى الله تعالى؟ قال: «**الصلاة على وقتها**». قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**بر الوالدين**»، قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»(١).

وبر الوالدين سبب في إجابة الدعاء، كما في قصة الثلاثة الذين لجؤوا إلى غارٍ فانحطت صخرة على فم الغار، (فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها، فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران ولي صبية صغار كنت أرعى عليهم، فإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالديَّ أَسْقِيهما قبل ولديَّ، وإنه نأى بي الشجر فما أتيت حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجِئْت بالحِلابِ فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يَتَضاغِونَ عند قدميَّ. فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء، ففرج الله لهم فرجة حتى يروا منها السماء. . .)(٢).

والوالدان أحق الناس بحسن الصحبة. عن أبي هريرة ـ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: الأدب/١، ٧/٦٩ والترمذي في سننه: البر/٢، ح (١٨٩٨)، ٤/٣١٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: الأدب/٥، ٧/٦٩ ـ ٧٠ والترمذي في سننه: البر/١، ح (١٨٩٧)، ٤/٣٠٩.

رضي الله عنه ـ قال: (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله من أحق بحسن صحابتي؟ قال: **أمك**، قال: ثم مَنْ؟ قال: **أمك**، قال: ثم مَنْ؟ قال: **أمك**، قال: ثم مَنْ؟ قال: **أبوك**)(١).

ومن البر بالوالدين إكرام صديق الوالد، (**إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه**)(٢).

كما أن عقوقهما من أكبر الكبائر، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يارسول الله. قال: الإشراك بالله وعُقُوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزُّور وشهادة الزُّور، ألا وقول الزُور، وشهادة الزُور، فمازال يقولها حتى قلت: لا يَسْكُت**»(٣).

سُئل الحسن ـ رضي الله عنه ـ عن بر الوالدين. فقال: أن تبذل لهما ما ملكت، وتطيعهما فيما أمراك ما لم يكن معصية، والدلالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ ﴾ [لقمان: ١٥].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: الأدب/٢، ٧/ ٦٩.

(٢) رواه الترمذي في سننه: البر/٥، ح (١٩٠٣)، ٤/ ٣١٣ وقال: هذا إسناد صحيح.

(٣) رواه البخاري في صحيحه: الأدب/٦، ٧/ ٧٠ ـ ٧١، رواه الترمذي في سننه: البر/٤، ح (١٩٠١)، ٤/ ٣١٢.

«قيل لعلي بن الحسين ـ رضي الله عنهما ـ: إنك من أبرِّ الناس بوالدتك، ولسنا نراك تأكل معها، قال: إني أخاف أن أسبقها إلى شيء سبقت عينها إليه فأعقها بذلك؟.

وقيل لعمر بن ذر لما مات ابنه: كيف بره بك؟ قال: ما مَاشَيْتُه قطًّ بالنهار إلى مشى خلفي، ولا بالليل إلا مشى أمامي، ولا رَقَى سطحاً أنا تحته»[١].

---

(١) (محاضرات الأدباء): ١/ ٣٢٧.

باب صلة الرَّحم

٩ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سَرَّهُ أنْ يُبْسَط له في رِزْقِهِ ويُنْسأ له في أَثَرِهِ فلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

[متفق عليه][(١)]

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [سورة النساء: ١] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الرعد: ٢١].

الرَّحِمُ: «بفتح الراء وكسر الحاء المهملة يطلق على الأقارب، وهم من بينه وبين الآخر نسب، سواء كان يرثه أم لا، سواء كان ذا محرم أو لا، وقيل: هم المحارم فقط، والأول هو المرجح، لأن الثاني يستلزم خروج أولاد الأعمام، وأولاد الأخوال من ذوي الأرحام وليس كذلك»[(٢)].

وقال القاضي عياض: «ولا خلاف أن صلة الرحم واجبة فى الجملة وقطيعتها معصية كبيرة.. ولكن الصلة درجات

(١) رواه البخاري في صحيحه: الأدب/١٢، ٧/٧٢. ومسلم في صحيحه: البر/٦، ح (٢٠)، ح (٢١)، ٤/١٩٨٢.
(٢) (فتح الباري): ١٠/٤١٤.

بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام ولو بالسلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها واجب ومنها مستحب، ولو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعاً، ولو قصَّر عما يقدر عليه وينبغي له لا يسمى واصلاً»(١).

وفي الحديث أن بسط الرزق وكثرته والبركة فيه وطول العمر والبركة فيه والتوفيق للطاعات بصلة الرحم.

ولما خلق الله الخلق (حتى إذا فَرَغَ من خلقه قالت الرَّحِمُ هذا مقام العائذ بك من القَطِيعة قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى ياربِّ.
قال: فهو لك، قالَ رسول الله ﷺ فاقرؤوا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾[محمد: ٢٢])(٢).

وصلة الرحم مما يدخل الجنة، فعن أبي أيوب الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً قال: (يارسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، فقال القوم: ماله ماله؟ فقال رسول الله ﷺ: أرب(٣) ماله. فقال النبي ﷺ: تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم

---

(١) (صحيح مسلم بشرح النووي): ١٦/ ١١٣.
(٢) رواه البخاري في صحيحه: الأدب/ ١٣، ٧/ ٧٢ ـ ٧٣، ومسلم في صحيحه: البر/ ٦، ح (١٦)، ٤/ ١٩٨٠ ـ ١٩٨١.
(٣) في هذه اللفظة ثلاث روايات: إحداها أَرِب معناها الدعاء عليه وهي كلمة =

الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم ذرها)[١].

و(ليس الواصل بالمكافىء، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها)[٢].

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: (يارسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسيؤون إلي. وأحلم عنهم ويجهلون علي. فقال: لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المل[٣]، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم، مادمت على ذلك)[٤].

كما أنه (لا يدخل الجنة قاطع رحم)[٥].

= يراد بها وقوع الأمر وإنما تذكر في معرض التعجب، والرواية الثانية أَرَب ماله أي حاجة له. والرواية الثالثة أَرِبٌ أي الحاذق، راجع (النهاية في غريب الحديث): ١/ ٣٥.

(١) رواه البخاري في صحيحه: الأدب/ ١٠، ٧/ ٧٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: الأدب/ ١٥، ٧/ ٧٣.

(٣) المل: الرماد الحار الذي يحمى ليدفن فيه الخبز لينضج (النهاية في غريب الحديث): ٤/ ٣٦١ وتسفهم المل: معناه تطعمهم الرماد الحار (صحيح مسلم بشرح النووي): ١٦/ ١١٥.

(٤) رواه مسلم في صحيحه: البر/ ٦، ح (٢٢)، ٤/ ١٩٨٢.

(٥) رواه البخاري في صحيحه: الأدب/ ١١، ٧/ ٧٢، ومسلم في صحيحه: البر/ ٦، ح (١٩)، ٤/ ١٩٨١ واللفظ له.

باب حق الجار والوصية به

١٠ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ قال: (مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظَنَنتُ أنه سيُورثُهُ).

[متفق عليه](١)

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء: ٣٦].

اختلف في المراد بهذا التوريث فقيل: يجعل له مشاركة في المال بفرض سهم يعطاه مع الأقارب، وقيل المراد أن ينزل منزلة من يرث بالبر والصلة، والأول أظهر، فإن الثاني استمر، والخبر مشعر بأن التوريث لم يقع..

واسم الجار يشمل المسلم والكافر، والعابد، والفاسق، والغريب، والبلدي، والقريب، والأجنبي، والأقرب داراً، والأبعد، وله مراتب بعضها أعلى من بعض. فأعلاه من اجتمعت فيه الصفات الأولى كلها، ثم أكثرها، وهلم جرا إلى

(١) رواه البخاري في صحيحه: الأدب/ ٢٨، ٧/ ٧٨، ومسلم في صحيحه: البر/ ٤٢، ح (١٤٠)، ح (١٤١)، ٤/ ٢٠٢٥.

الواحد، وعكسه من اجتمعت فيه الصفات الأخرى كذلك، فيعطى كل حقه بحسب حاله.

ويحصل امتثال الوصية به بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة، كالهدية والسلام، وطلاقة الوجه عند لقائه، وتفقد حاله، ومعاونته فيما يحتاج إليه، إلى غير ذلك»[١].

قال رسول الله ﷺ: (**ياأباذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك**)[٢].

وأمرنا رسول الله ﷺ بعدم إيذاء الجار، فقال: (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره**)[٣]. ونفى ﷺ الإيمان عمن لم يأمن جاره بوائقه، فقال: (**والله لايؤمن والله لا يؤمن، والله لا يؤمن! قيل: ومنْ يارسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه**)[٤].

وجعل ﷺ الإحسان إلى الجار مقياساً للخيرية بين الجيران، فقال: (**خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره**)[٥].

---

(١) (فتح الباري): ١٠/٤٤١ ـ ٤٤٢.
(٢) رواه مسلم في صحيحه: البر/٤٢، ح (١٤٢)، ٤/٢٠٢٥.
(٣) رواه البخاري في صحيحه: الأدب/٣١، ٧/٧٨ ـ ٧٩.
(٤) رواه البخاري في صحيحه: الأدب/٢٩، ٧/٧٨.
(٥) رواه الترمذي في سننه: البر/٢٨، ح (١٩٤٤)، ٤/٢٣٣. وقال: هذا حديث حسن غريب.

ويروى في هذا الباب أن «الأحنف بن قيس صعد فوق بيته فأشرف على جاره، فقال: سوءة سوءة دخلت على جاري بغير إذن، لا صعدت فوق هذا البيت أبداً»[١].

وكان لأبي حنيفة جار إسكاف، وكان كثيراً مايعمل بالليل وينشد هذه الأبيات:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا
ليوم كريهة وسداد ثغري
كأني لم أكن فيهم وسيطاً
ولم تكن نسبتي في آل عمرو
أُجَرَّر في المجامع كل يوم
فيا لله من ظلمي وصبري

وكان أبوحنيفة يقوم يصلي بالليل فيسمع صوته يردد هذه الأبيات، ففقده ليلة أو ليلتين، فسأل عنه، فقيل: أخذه السلطان وحبسه، فصار أبوحنيفة إلى الوالي يشفع فيه، وقال له: جاري، وله حق الجوار، قد أخذه العسس قال: فما اسمه؟ قال: لا أعلم غير أنه إسكاف، فقال الوالي: أطلقوا لأبي حنيفة كل من أخذ الليلة. فلما أطلقوه جاء الإسكاف إلى أبي حنيفة يشكره، فقال له أبوحنيفة: يافتى ما أضعناك»[٢].

---

(١) (مكارم الأخلاق): ص/ ٨٦ ـ ٨٧.
(٢) (أخبار أبي حنيفة وأصحابه): ص/ ٤٠ ـ ٤١.

باب في أن يُحب لأخيه مايحب لنفسه

١١ ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه).

[متفق عليه][١]

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١٠].

المقصود من الحديث «أن من جملة خصال الإيمان الواجبة أن يحب المرء لأخيه المؤمن مايحب لنفسه»[٢].

وهذه القاعدة الإسلامية الجزئية مقيدة بالقاعدة الأساسية، بمعنى أن يحب لأخيه الخير كما يحبه لنفسه، فهناك رواية أخرى تقول: (حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه من الخير)[٣].

«والخير كلمة جامعة تعم الطاعات والمباحات الدنيوية، والأخروية دون المنهيات؛ لأنها ليست خيراً ولا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: الإيمان/٧، ١/٩، ومسلم في صحيحه: الإيمان/١٧. ح (٧١)، ١/٦٧.

(٢) (جامع العلوم والحكم): ص/١٠٣.

(٣) رواه النسائي في سننه: الإيمان/علامة الإيمان، ٨/١١٥.

يتناولها»[١].

قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: «وهذا قد يعد من الصعب الممتنع، وليس كذلك، إذ معناه: لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه في الإسلام مايحب لنفسه، والقيام بذلك يحصل بأن يحب له حصول مثل ذلك من جهة لا يزاحمه فيها، بحيث لا ينقص عليه شيء من النعمة، وذلك سهل قريب على القلب السليم، وإنما يعسر على القلب الدغل، عافانا الله تعالى وإخواننا أجمعين»[٢].

ويحكى أن الفضيل بن عياض قال لسفيان بن عيينة: إن كنت تريد أن يكون الناس مثلك فما أديت لله الكريم النصيحة، فكيف وأنت تود أنهم دونك؟[٣].

---

(١) (فتح الباري): ١/ ٥٧.
(٢) (شرح الأربعين حديثاً النووية): ص/ ٤٤ ـ ٤٥.
(٣) راجع (تاريخ دمشق): ١٤/ ٢٧٤.

باب فضل الزهد في الدنيا

١٢ - عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما -، قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، فقال: **(كُن في الدُنيا كأنك غريب، أو عابرُ سبيل) وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيْت، فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخُذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك.**

[رواه البخاري][1]

قال الله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٥ - ٤٦].

الزهد في الشيء الإعراض عنه، لاستقلاله واحتقاره وارتفاع الهمة عنه، يقال شيء زهيد: أي قليل حقير.

وقد تكلم السلف ومن بعدهم في تفسير الزهد في الدنيا، وفي الحديث: **(الزهادةُ في الدنيا ليست بتحريم الحلال، ولا**

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: الرقائق/٣، ٧/١٧٠، والترمذي في سننه: الزهد/٢٥، ح(٢٣٣٣)، ٤/٥٦٧ - ٥٦٨.

إضاعة المال، ولكن الزهادةُ في الدنيا أن تكون بمافي يديك أوثق مما في يدي الله، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها أُبْقِيَتْ لك)[١].

وقال وهب بن ورد: الزهد في الدنيا أن لا تأسى على مافات منها، ولا تفرح بما أتاك منها.

وسئل الزهري عن الزهد فقال: من لم يغلب الحرام صبره، ولم يشغل الحلال شكره. وقال أحمد بن الحواري ـ رحمه الله ـ: قلت لسفيان بن عيينة: من الزاهد في الدنيا؟ قال: من إذا أنعم عليه شكر، وإذا ابتلي صبر. فقلت: ياأبامحمد الذي قد أنعم عليه فشكر وإذا ابتلي فصبر وحبس النعمة كيف يكون زاهداً؟ فقال: اسكت من لم تمنعه النعماء من الشكر، ولا البلوىٰ من الصبر فذلك الزاهد.

وقال ربيعة: رأس الزهادة جمع الأشياء بحقها ووضعها في حقها.

وقال سفيان الثوري: الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباء، وقال: وكان من دعائهم: اللهم زهدنا في الدنيا ووسع علينا منها، ولا تردها عنا فترغبنا فيها. ولهذا قال الإمام أحمد: الزهد في الدنيا قصر الأمل. وقال

---

(١) رواه الترمذي في سننه: الزهد/٢٩، ح (٢٣٤٠)، ٤/٥٧١، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وابن ماجه في سننه: الزهد/١، ح (٤١٥٢)، ٢/٤١٧.

مرة: قصر الأمل واليأس مما في أيدي الناس[1].

وقالوا في شرح حديث الباب «لا تركن إلى الدنيا ولا تتخذها وطناً، ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها، ولا بالاعتناء بها، ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب في غير وطنه، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله.

أما قول عمر: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء فهو حض منه على أن المؤمن يستعد أبداً للموت، والموت يستعد له بالعمل الصالح، وحض على تقصير الأمل، أي لا تنتظر بأعمال الليل الصباح، بل بادر بالعمل، وكذلك إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وتؤخر أعمال الصباح إلى الليل.

قوله: (خذ من صحتك لمرضك) حضّ على اغتنام صحته، فيجتهد فيها خوفاً من حلول مرض يمنعه من العمل، وكذلك قوله: (ومن حياتك لموتك) تنبيه على اغتنام أيام حياته لأن من مات انقطع عمله، وفات أمله، وعظمت خسارته على تفريطه وندمه، وليعلم أنه سيأتي عليه زمان طويل وهو تحت التراب لا يستطيع عملاً»[2].

---

(١) راجع (جامع العلوم): ص/ ٢٥٤ ـ ٢٥٦.

(٢) (شرح الأربعين حديثاً النووية): ص/ ١٠٥ ـ ١٠٦.

وقد جاءت أحاديث كثيرة في فضل الزهد في الدنيا منها أن رجلاً قال: يارسول الله: دلني على عمل إذا عملته أحبني الله، وأحبني الناس. فقال: (**ازهد في الدنيا يُحبك الله، وازهد فيما عند الناس يُحبك الناسُ**)[١].

ومنها أيضاً قوله ﷺ: (**قد أفلح من أسلم وكان رزقه كَفَافاً وقنّعه الله**)[٢].

قال إبراهيم بن أدهم: «الزهد ثلاثة أصناف: فزهد فرض، وزهد فضل، وزهد سلامة، فأما الزهد الفرض فالزهد في الحرام، والزهد الفضل: الزهد في الحلال، وزهد السلامة: الزهد في الشبهات»[٣].

واعلم أخي المسلم أن أفضل الزهد هو زهد رسول الله ﷺ وصحابته الأخيار، وكتب السنة مليئة بذكر قصصهم، وزهدهم وصبرهم، ومنها قول عمر ـ رضي الله عنه ـ: (لقد رأيتُ رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوي مايجدُ دَقلاً[٤] يملأ به بطنه)[٥].

---

(١) رواه ابن ماجة في سننه: الزهد/ ١، ح (٤١٥٤)، ٢/ ٢٠٧. وحسنه النووي (رياض الصالحين): ص/ ١٨٧.

(٢) رواه الترمذي في سننه: الزهد/ ٣٥، ح (٢٣٤٨)، ٤/ ٥٧٥ ـ ٥٧٦.

(٣) (جامع العلوم): ص/ ٢٥٧.

(٤) الدقل: رديء التمر. (رياض الصالحين): ص/ ١٨٧.

(٥) رواه مسلم في صحيحه: الزهد، ح (٣٦)، ٤/ ٢٢٨٥.

وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: **(ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قُبض)**(١).

وقال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: **(ما شبع نبي الله وأهلُهُ ثلاثة أيام تباعاً من خُبز حنطة حتى فارق الدُنيا)**(٢).

دخل رجل على أبي ذر فجعل يقلب بصره في بيته. فقال: ياأباذر أين متاعكم؟ فقال: إن لنا بيتاً نتوجه إليه. فقال: إنه لابد لك من متاع مادمت هاهنا، فقال: إن صاحب المنزل لا يدعنا هاهنا.

وقال عمر بن عبدالعزيز في خطبته: إنَّ الدنيا ليست بدار قراركم، كتب الله عليها الفناء، وكتب الله على أهلها منها الظعن، فكم من عامر موثق عن قليل يخرب، وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن(٣).

وقال الحسن ـ رضي الله عنه ـ: «أهينوا الدنيا فوالله لأهنأ ماتكون حين تهان»(٤).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: الزهد، ح (٢٢)، ٤/ ٢٨٢٢.
(٢) رواه مسلم في صحيحه: الزهد، ح(٣٣)، ٤/ ٢٢٨٤.
(٣) راجع (جامع العلوم): ص/ ٣٣٢.
(٤) (محاضرات الأدباء): ١/ ٥١٥.

بــاب الصــبر

١٣ ـ عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخُدري ـ رضي الله عنه ـ: أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ماعنده، فقال لهم: (مايكون عندي من خير فلن أدَّخِرهُ عنكم، ومَنْ يَستعفِفْ يُعِفَّهُ الله، ومن يستغن يُغنه الله، ومن يتصبَّر يُصبِّرْهُ الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسعَ من الصبر).

[متفق عليه][1]

قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر: ١٠].

قال الراغب: «الصبر الإمساك في ضيق، يقال: صبرت الدابة حبستها بلا علف، وصبرت فلاناً خلفته خِلفة لا خروج له منها، والصبر حبس النفس على مايقتضيه العقل والشرع»[2].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: الزكاة/ ٥٠، ٢/ ١٢٩، ومسلم في صحيحه: الزكاة/ ٤٢، ح (١٢٤)، ١/ ٧٢٩.

(٢) (المفردات): ص/ ٢٧٣.

قال ابن حجر: «الصبر حبس النفس عن المجازاة على الأذى قولاً أو فعلاً، وقد يطلق على الحلم، قال بعض أهل العلم: الصبر على الأذى جهاد النفس، وقد جبل الله الأنفس على التألم بما يفعل بها ويقال فيها، ولهذا شق على النبي ﷺ نسبتهم له إلى الجور في القسمة، لكنه حلم على القائل فصبر لما علم من جزيل ثواب الصابرين، وأن الله تعالى يأجره بغير حساب، والصابر أعظم أجراً من المنفق، لأن حسنته مضاعفة إلى سبعمائة، والحسنة في الأصل بعشر أمثالها إلا من شاء الله أن يزيده»[1].

وفي حديث الباب فضل الصبر، والحث عليه، والصبر خصلة محمودة وسجية مرغوبة، وخلق فريد، جميل العواقب، حميد الآثار، جم الفوائد وكريم العوائد، يعطى المسلم فرصة يفكر فيها بما ينفعه، ويتروى في أمره، فلا يقدم إلا على ماهو محقق النفع مأمون النتيجة، والصبر ثلاثة أنواع:

١ ـ صبر على ما أمر الله به من الطاعات، وكلف العبادات، وما يلحق النفس في إقامتها من المشقة.

٢ ـ صبر عما نهى الله عنه من المحرمات، والمعاصي، وقمع الشهوات، ومجاهدة النفس عن قربانها، وقهرها عن هواها، وكبح جماحها عن الوقوع في حمأة الرذائل، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ

---

(١) (فتح الباري): ١٠/٥١١ ـ ٥١٢.

ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١].

٣ ـ الصبر على المصائب المؤلمة، والكوارث المفجعة، والابتلاء والامتحان مهما كانت أسبابه، ومهما تشكل وتلون[1].

والمسلم مأمور بالصبر على الطاعة والتزام أمر الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ١٥٣] فيكون نتيجة ذلك تأييد الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣] ومن المواقف التي تتطلب الصبر عند لقاء العدو ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥].

والصبر وتحمل المشاق في سبيل الدعوة من خصال الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] لأنه بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤].

ولذلك فإن التواصي بالصبر والرحمة من سمات المجتمع الإسلامي ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾ [البلد: ١٧ ـ ١٨].

---

(١) راجع (الصبر): ص/ ١٤، ٢٣ ـ ٢٦.

وجملة القول: الذي يصبر ابتغاء وجه الله يكون عاقبة أمره الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٢ ـ ٢٤].

واعلم أن أشد الناس بلاء (الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ماعليه خطيئة)(١).

والأمثلة على صبر الأنبياء كثيرة، فإبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ تلقيا أمر الله بالقبول والصبر حتى فدا الله إسماعيل بذبح عظيم، ونوح ـ عليه السلام ـ لاقى من قومه من الصد والإعراض الشيء الكثير فصبر على ذلك فأغرقهم الله جميعاً إلا من آمن مع نوح، ويعقوب ويوسف وأيوب وموسى وزكريا ويحيى وعيسى ـ عليهم السلام ـ ابتلوا فصبروا.

وسيد الأنام محمد بن عبدالله ﷺ ناله ما ناله من الشدائد والمحن من أهل الطائف، فأغروا به سفهاءهم وعبيدهم حتى أدموا عقبيه الشريفتين، ومن قبل ومن بعد كفار قريش نال منهم

---

(١) رواه الترمذي في سننه: الزهد/٥٦، ح (٢٣٩٨)، ٤/٦٠١ ـ ٦٠٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

الأذى الشيء الكثير الكثير، وبعد ذلك في المدينة صبر وجاهد حتى أرسى قواعد أعظم دولة عرفتها البشرية، وخير مجتمع شهدته الأرض.

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «والله تعالى ذكر في القرآن الهجر الجميل والصفح الجميل، والصبر الجميل، وقد قيل: إن الهجر الجميل: هو هجر بلا أذى، والصفح الجميل: صفح بلا معاتبة، والصبر الجميل: صبر بغير شكوى إلى المخلوق، ولهذا قرىء على أحمد ابن حنبل في مرضه: إنَّ طاووساً كان يكره أنين المريض ويقول: إنه شكوى فما أنَّ حتى مات، وأما الشكوى إلى الخالق فلا تنافي الصبر الجميل، فإن يعقوب قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾ [يوسف: ٨٣] وقال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [يوسف: ٨٦][1].

«قال عبدالعزيز بن رواد: ثلاثة من كنوز الجنة، كتمان المصيبة، وكتمان المرض، وكتمان الصدقة.

وقال عبدالله بن محمد الهروي: من جواهر البر كتمان المصيبة.

وقال عون بن عبدالله: الخير الذي لا شر معه: الشكر مع العافية، والصبر مع المصيبة»[2].

---

(١) (العبودية): ص/ ٤٠

(٢) (الصبر): ص/ ٧٢.

باب الحياء وفضله

١٤ ـ عن عِمْرَان بن حُصَين ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: (الحياءُ لا يأتي إلا بخير).
وفي رواية مسلم: (الحياءُ خَيْرٌ كلُّهُ) أو قال: (الحياءُ كلهُ خيرٌ) [متفق عليه](١)

قال النووي: «قال العلماء: حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق، وروينا عن أبي القاسم الجنيد ـ رحمه الله ـ قال: الحياء رؤية الآلاء ـ أي النعم ـ ورؤية التقصير، فيتولد بينهما حالة تسمى حياء»(٢).

قال عياض: «أما كونه خيراً كله، أو لا يأتي بخير فأشكل حمله على العموم، لأنه قد يقصد صاحبه عن مواجهة من يرتكب المنكرات ويحمله إلى الإخلال ببعض الحقوق، والجواب أن المراد بالحياء في هذه الأحاديث مايكون شرعاً، والحياء الذي ينشأ عنه الإخلال بالحقوق ليس حياء شرعياً، بل هو عجز ومهانة، وإنما يطلق عليه حياء لمشابهته للحياء

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: الأدب/٧٧، ٧/ ١٠٠، ومسلم في صحيحه: الإيمان/ ١٢، ج (٦٠)، ح (٦١)، ١/ ٦٤.
(٢) (رياض الصالحين): ص/ ٢٤٦.

الشرعي، وهو خلق يبعث على ترك القبيح، وقال ابن حجر: ويحتمل أن يكون أشير إلى أن من كان الحياء من خلقه أن الخير يكون فيه أغلب فيضمحل ما لعلَّه يقع منه مما ذكر في جنب مايحصل له بالحياء من الخير، أو لكونه إذا صار عادة وتخلق به صاحبه يكون سبباً لجلب الخير إليه فيكون منه الخير بالذات والسبب»(١).

«والحيـــاء حيـــاءان:

أحدهما: استحياء العبد من الله ـ جل وعلا ـ عند الإهمام بمباشرة ماخطر عليه، والثاني: استحياء من المخلوقين عند الدخول فيما يكرهون من القول والفعل معاً، والحياءان جميعاً محمودان، إلا أن أحدهما فرض، والآخر فضل، فلزوم الحياء عند مجانبة مانهي عنه فرض، ولزوم الحياء عند مفارقة ما كره الناس فضل»(٢).

وعلى المسلم التحلي بهذه الفضيلة، إذْ هي الدين كله(٣). وهي من شعب الإيمان، ومن خلق الإسلام (**إن لكل دين خلقاً، وإن خُلق الإسلام الحياء**)(٤). وهي مفتاح كل خير،

---

(١) (فتح الباري): ١٠/٥٢٢.

(٢) (روضة العقلاء): ص/٥٧.

(٣) روى ابن أبي الدنيا في (مكارم الأخلاق): ح (٨٧)، ص/١٩ عن عمر بن عبدالعزيز أن الحياء الدين كله ورفعه إلى النبي ﷺ.

(٤) رواه ابن ماجه في سننه: الزهد/١٧، ح (٤٢٣٤)، ح (٤٢٣٥)، ٢/٤٢٢. وابن أبي الدنيا في (مكارم الأخلاق): ص/٢٢.

فبقوتها يكثر الخير، ويضعف ارتكاب الشر، وبضعفها يضعف الخير، ويكثر اقتراف الشر، إذ الحياء هو الحائل بين المرء والمنهيات.

وروى ابن أبي الدنيا بسنده عن وهب بن منبه قال: «الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء، وماله العفة، وقال: سمعت أعرابياً من طيء ينشد:

فـلا وأبيـك مـا فـي العيـش خيـر
ولا الـدنيـا إذا ذهـب الحيـاء
يعيـش المـرء مـا استحيـا بخيـر
ويبقـى العـود مـابقـي اللحـاء»[1]

ويجب على المسلم أن يستحيي من الله حق الحياء، ولذا فعليه ألا يستخدم نعمة وهبها الله إياه في معصية، وألا يجده في موضع نهى عنه، وأن يجده حيث أمره، وفي الحديث عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم لأناس من أصحابه: (**استحيوا من الله حق الحياء قال: قلنا: يارسول الله إنا نستحيي والحمد لله، قال: ليس ذلك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وماحوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**)[2].

---

(١) (مكارم الأخلاق): ص/ ٢١.

(٢) رواه الترمذي في سننه: صفة القيامة/ ٢٤، ح (٢٤٥٨)، ٤/ ٦٣٧ وقال: هذا=

قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: من كسا بالحياء ثوبه لم ير الناس عيبه.

وقال أبو موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ: إني لأدخل البيت المظلم اغتسل فيه من الجنابة فاحني فيه صلبي حياء من ربي[١].

= حديث إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث إبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد، وابن أبي الدنيا في (مكارم الأخلاق): ص/ ٢٠.

(١) (المستطرف): ١/ ١٩٥.

باب الكرم والسخاء

١٥ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: قال الله ـ عز وجل ـ (أنفقْ أُنفق عليك، وقال: يدُ الله ملأى لا يغيضها نفقةٌ سَحَّاءُ[١] الليلَ والنهارَ. وقال: أرأيتُم ما أنْفق مُنْذُ خلق السماء والأرض، فإنه لم يغِض مافي يده، وكان عرْشُهُ على الماء وبيده الميزان يخفضُ ويرْفعُ).

[متفق عليه][٢]

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝٢٧٢﴾ [البقرة:٢٧٢] وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ۝٢٧٣﴾ [البقرة:٢٧٣].

اعلم رحمني الله وإياك أن «كل من ساد في الجاهلية والإسلام حتى عرف بالسؤدد وانقاد له القوم، ورحل إليه القريب والقاصي، لم يكن سؤدده إلا بإطعام الطعام، وإكرام الضيف وأجمع أهل التجارب للدهر، وأهل الفضل في الدين،

---

(١) سحاء: أي دائمة. (فتح الباري): ٨/٣٥٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: التفسير/ سورة هود/٢، ٤/٢١٣، ومسلم في صحيحه: الزكاة/١١، ح (٣٦)، ٢/٦٩٠.

والراغبون في الجميل على أن أفضل مااقتنى الرجل لنفسه في الدنيا، وأجل مايدخر لها في العقبى هو لزوم الكرم، ومعاشرة الكرام، لأن الكرم يحسن الذكر، ويشرف القدر»(١).

ولابد لمن ينفق أن يبتغي بذلك وجه الله ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة:٢٧٢]، أما الإنفاق على سبيل التفاخر، فهذا ليس الكرم الذي يحمد، بل قد يتحول إلى رذيلة إذا كان في ذلك استعلاء على عباد الله.

وللكرم فوائد كثيرة منها:

- أن الله - عز وجل - يعوض المنفق ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٢﴾ [البقرة:٢٧٢] وفي حديث الباب (أنفق أنفق عليك) وقال رسول الله ﷺ: **(بينما رجل يمشي بفلاة من الأرض، فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحَّى ذلك السحابُ فأفرغ ماءه في حَرَّة، فإذا شَرْجَةٌ من تلك الشِّراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: ياعبدالله ما اسمُك؟ قال: فلان للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: ياعبدالله لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيها؟ فقال: أما إذ قلت هذا فإني أنظر إلى مايخرج منها، فأتصدق بثُلُثِه وآكل أنا وعيالي ثُلثاً، وأردُّ فيها**

(١) راجع (روضة العقلاء): ص/١٥٧ - ١٥٩.

ثلثهُ)(١).

١ - أن الله - عز وجل - يزيد ما أنفقه المنفق أضعافاً مضاعفة ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

٢ - أن المنفق يتقى من نار جهنم: **(اتقوا النار ولو بشق تمرة)**(٢).

٣ - أن خير مايتداوى به الناس الصدقة **(داووا مرضاكم بالصدقة)**(٣).

٤ - أن الإنفاق تحصين للمال: **(حصنوا أموالكم بالزكاة)**(٤).

٥ - أن الكرم من الصفات المحبوبة إلى الله - عز وجل: **(إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم)**(٥).

٦ - أن اليد المعطية خير من اليد الآخذة **(اليد العليا خير من اليد السفلى)**(٦).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: الزهد/ ٤، ح (٤٥)، ٤/ ٢٢٨٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: الأدب/ ٣٤، ٧/ ٧٩، ومسلم في صحيحه: الزكاة/ ٢٠، ح (٦٨)، ٢/ ٧٠٤.

(٣) رواه البيهقي في (السنن الكبرى): ٣/ ٣٨٢.

(٤) رواه البيهقي في (السنن الكبرى): ٣/ ٣٨٢.

(٥) رواه الترمذي في سننه: الأدب/ ٤١، ح (٢٧٩٩)، ٥/ ١١١ - ١١٢. وقال: هذا حديث غريب وخالد بن إلياس يضعف.

(٦) رواه مسلم في صحيحه: الزكاة/ ٣٢، ح (٩٧)، ٣/ ٧١٨.

ـ أن الكرم يغطي كثيراً من عيوب المرء، قال الإمام الشافعي:

تستـــر بـــالسخـــاء فكـــل عيـــبٍ
يغطيـــه كمـــا قيـــل السخـــاء[١]

وعلى المسلم أن يتحلى بهذه الصفة وخصوصاً الدعاة، لما لها من أثر كبير في دخول الناس في الإسلام.

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: (**ماسُئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل، فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: ياقوم أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة، فقال أنس: وإن كان الرجل ليسلم مايريد إلا الدنيا، فما يلبث إلا يسيراً حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وماعليها**)[٢].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: (**كان النبي ﷺ أجود الناس، وأجود مايكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل ـ عليه السلام ـ يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة**)[٣].

---

(١) (ديوان الشافعي): ص/١٦.
(٢) رواه مسلم في صحيحه: الفضائل/١٤، ح (٥٧)، ح (٥٨)، ٤/١٨٠٦.
(٣) رواه البخاري في صحيحه: المناقب/٢٣، ٤/١٦٥ ـ ١٦٦.

وروى ابن أبي حاتم بسنده عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: **(من أتاه الله منكم مالاً فليصل به القرابة، وليحسن فيه الضيافة، وليفك فيه العاني، والأسير، وابن السبيل، والمساكين، والفقراء، والمجاهدين، وليصبر فيه على النائبة، فإن بهذه الخصال ينال كرم الدنيا وشرف الآخرة)**[١].

«قيل للحسن ـ رضي الله عنه ـ: من السخي؟ فقال: الذي لو كانت الدنيا له فأنفقها لرأى عليه بعد ذلك حقوقاً»[٢].

عن حذيفة العدوي أنه قال: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي في القتلى، ومعي شيء من الماء، وأنا أقول إن كان به رمق سقيته، فإذا أنا به بين القتلى. فقلت له: أسقيك؟ فأشار إليَّ نعم. فسمع برجل يقول آه، فأشار إليَّ ابن عمي أن انطلق واسقه، فإذا هو هشام بن العاص قلت: أسقيك؟ فأشار إليَّ نعم، فسمع آخر يقول آه. فأشار إليَّ أن انطلق إليه، فجئته فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي، فإذا هو قد مات.

وقدم رجل من قريش في سفر فمر على رجل من الأعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر، وأضر به المرض، فقال له: ياهذا أعنا على الدهر، فقال لغلامه: مابقي

---

(١) (روضة العقلاء): ص/ ٢٣٦.

(٢) (محاضرات الأدباء): ١/ ٦٤٨.

معك من النفقة فادفعه إليه، فصب في حجره أربعة آلاف درهم فَهمَّ ليقوم فلم يقدر من الضعف فبكى، فقال له الرجل: مايبكيك لعلك استقللت مادفعناه إليك؟ فقال: لا والله، ولكن ذكرت ماتأكل الأرض من كرمك فأبكاني.

ولما مرض قيس بن سعد بن عبادة استبطأ إخوانه في العيادة، فسأل عنهم فقيل له: إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين. فقال: أخزى الله مالاً يمنع عني الإخوان من الزيارة، ثم أمر منادياً ينادي من كان لقيس عنده مال فهو منه في حل، فكُسرت عتبة بابه بالعشي لكثرة العواد[١].

---

(١) (المستطرف): ١/٢٣٥ ـ ٢٣٦.

بـــاب الرفـــق

١٦ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ الله رفيقٌ يُحبُ الرفق، ويُعطي على الرفق ما لا يُعْطي على العُنف، وما لا يُعطي على ماسواه).

[رواه مسلم][١]

قـال الله تعـالـى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف:١٩٩]. الرفق: لين الجانب، بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو خلاف العنف يقال منه: رفق يرفُقُ ويرفِق[٢].

ففي هذا الحديث فضل الرفق والحث على التخلق به، وذم العنف، وأن الرفق سبب كل خير.

ومعنى (يعطي على الرفق مالايعطي على العنف) أنه يتأتى معه من الأمور ما لا يتأتى مع ضده، وقيل: المراد يثيب عليه ما لا يثيب على غيره، ورجح ابن حجر الوجه الأول[٣]،

(١) رواه مسلم في صحيحه: البر/٢٣، ح (٧٧)، ٤/ ٢٠٠٤.
(٢) راجع (القاموس المحيط) مادة (رفق)، و (فتح الباري): ١٠/٤٤٩. و(النهاية غريب الحديث): ٢/ ٢٤٦.
(٣) (فتح الباري): ١٠/٤٤٩.

بينما أخذ الوجه الثاني النووي(١).

فعلى المسلم التحلي بهذه الخصلة، لأنها من الخصال التي يحبها الله ـ جل وعلا ـ وهي سبب كل خير، والحرمان منها حرمان من الخير (**من يُحْرَمِ الرفق يُحرم الخير**)(٢)، ولايكون الرفق في شيء إلا جمله وحسنه، ولا نزع من شيء إلا عُيِّب وقُبح (إن الرفق لايكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه) وهو من الخصال التي يحرم على النار من تحلى بها، قال رسول الله ﷺ: (**ألا أخبركم بمن يُحرم على النار، أو بمن يَحْرُم عليه النار؟ على كل قريب هين سهل**)(٣) ولا تقف المعاملة بالرفق بين الإنسان وأخيه الإنسان، بل يدعو الإسلام إلى الرفق حتى مع البهائم وفي الحديث (**إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته**)(٤).

ويروى في هذا أنه (دخل أعرابي المسجد ورسول الله ﷺ جالس فقال: اللهم اغفر لي ولمحمد، ولا تغفر لأحد معنا، فضحك رسول الله ﷺ وقال: لقد احتظرت واسعاً، ثم ولى حتى إذا كان في ناحية المسجد فَشَجَ يبول، فقال: الأعرابي

---

(١) (صحيح مسلم بشرح النووي): ١٦/ ١٤٥.

(٢) رواه مسلم في صحيحه: البر/ ٢٣، ح (٧٤)، ٤/ ٢٠٠٣.

(٣) رواه الترمذي في سننه: صفة القيامة/ ٤٥، ح (٢٤٨٨)، ٤/ ٦٥٤ وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٤) رواه مسلم في صحيحه: الصيد/ ١١، ح (٥٧)، ٣/ ١٥٤٨.

بعد أن فقه: فقام إليَّ بأبي وأمي فلم يؤنب، ولم يسب، فقال: إن هذا المسجد لا يبال فيه، إنما بني لذكر الله وللصلاة، ثم أمر بسجل من ماء فأفرغ على بوله)[١].

وعن أنس أن النبي ﷺ أتى على أزواجه وسَوَّاق يسوق بهن يقال له أنْجشةُ فقال: (ويحك يا أنْجشةُ رويداً سوقك بالقوارير)[٢].

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه: الطهارة/٧٨، ح (٥٥١)، ١/٩٩، ورواه البخاري مختصراً: الوضوء/٥٨، ١/٦١.

(٢) رواه مسلم في صحيحه: الفضائل/١٨، ح (٧١)، ٤/١٨١١.

بـاب الحـلـم

١٧ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ للأشج أشج عبدالقيس: (إنَّ فيك خصلتين يُحبُهما الله: الحِلْمُ والأناةُ[١]).

[رواه مسلم][٢]

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩]..

«قيل: الحلم تجرع الغيظ»[٣].

وقيل: الحلم: «اسم يقع على زَمِّ النفس عن الخروج عند الورود عليها ضد ماتحب إلى مانهي عنه، فالحلم يشتمل على المعرفة، والصبر، والأناة، والتثبت، ولم يقرن شيء إلى شيء أحسن من عفو إلى مقدرة»[٤].

«قيل: ليس الحليم من ظلم فحلم حتى إذا قدر انتصر،

---

(١) الأناة: التثبت وترك العجلة. (صحيح مسلم بشرح النووي): ١/١٨٩.
(٢) رواه مسلم في صحيحه: الإيمان/٦، ح (٢٥)، ١/٤٨.
(٣) (محاضرات الأدباء): ١/٢٢١.
(٤) (روضة العقلاء): ص/٢٠٨.

ولكن الحليم من ظلم فحلم فإذا قدر غفر»(١).

وقال ضمرة: «الحلم أرفع من العقل، لأن الله تبارك وتعالى تسمى به، وإن من نفاسة اسم (الحلم) وارتفاع قدره أن الله ـ جل وعلا ـ تسمى به، ثم لم يسم بالحلم في كتابه أحداً إلا إبراهيم خليله، وإسماعيل ذبيحه حيث قال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة:١١٤] وقال: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات:١٠١].

والحليم عظيم الشأن، رفيع المكان، محمود الأمر، مرضي الفعل، والحلم أجمل مايكون من المقتدر على الانتقام»(٢).

«ومن هنا نقرر تلك الحقيقة الخالدة وهي أن الحليم رجل جعل النبي ـ ﷺ ـ قدوته الحسنة وإمامه في كل مايتخلق به، فتمسك بأخلاقه، وتحلى بصفاته، وسار على هديه ومنهجه، فكان عطاء الله له عظيماً، وجزاؤه له في دار الجزاء وافراً كريماً»(٣).

عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: (لما قسم النبي ﷺ قسمة حنين قال رجل من الأنصار: ماأراد بها وجه الله، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فتغير وجهه ثم قال: رحمة الله

---

(١) (محاضرات الأدباء): ١/ ٢٢١.
(٢) (روضة العقلاء): ص٢٠٨ ـ ٢٠٩.
(٣) (الحلم): ص/ ٨.

على موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر)[١].

فتأمل ياأخي المسلم كيف أن الرسول صبر وحلم على هذا الرجل من الأنصار.

و«يروى أنه بايع رجل آخر على أن يغضب الأحنف، فجاءه فخطب إليه أمه، فقال: لسنا نردك انتقاصاً بحسبك، ولا قلة رغبة في مصاهرتك، ولكنها امرأة قد علا سنها، وأنت تحتاج إلى امرأة ودود ولود، تأخذ من خلقك، وتستمد من أدبك، ارجع إلى قومك وأخبرهم أنك لم تغضبني!.

وخطب آخر إلى معاوية أمه. فقال:

ما الذي رغبك فيها وهي عجوز؟.

فقال: بلغني أنها عجوز عظيمة العجز!.

فقال: لعلك خاطرت أن تغضب سيد بني تميم؟!

قال: نعم.

قال: ارجع فلست به»[٢].

«شتم رجل أباذر ـ رضي الله عنه ـ فقال له: ياهذا لا تستغرق في شتمنا، ودع للصلح موضعاً، فإنا لا نكافىء من عصى الله فينا بأكبر من أن نطيع الله فيه»[٣].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: المغازي/٥٦، ٥/١٠٥ ـ ١٠٦.

(٢) (محاضرات الأدباء): ١/٢٢٢.

(٣) (الحلم): ص/٩.

بـــاب العفـــو

١٨ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: (مانقصت صدقة من مال، ومازاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله).

[رواه مسلم](١)

قال الله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور:٢٢] وأدب نبيه ﷺ فقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف:١٩٩].

«ذكر العلماء في معنى الحديث وجهين:

أحدهما: أنه على ظاهره، وأن من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب وزاد عزه وإكرامه.

والثاني: أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك»(٢).

واعلم أن «لذة العفو أطيب من لذة التشفي، لأن لذة العفو يتبعها حمد العاقبة، ولذة التشفي يتبعها غم الندامة»(٣)

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: البر/١٩، ح (٦٩)، ٤/٢٠٠١.

(٢) (صحيح مسلم بشرح النووي): ١٦/١٤١.

(٣) (محاضرات الأدباء): ١/٢٢٦.

«قال عمر: أفضل العفو، العفو عند المقدرة، وأفضل القصد عند الجدة»[١].

«وقال سعيد بن المسيب: لأن يخطىء الإمام في العفو خير من أن يخطىء في العقوبة»[٢].

«وروي أن لقمان قال لابنه: كذب من قال إن الشر يطفىء الشر، فإن كان صادقاً فليوقد ناراً إلى جنب نار، فلينظر هل تطفىء إحداهما الأخرى؟ وإلا فإن الخير يطفىء الشر، كما تطفىء الماء النار»[٣].

ويروى في هذا أن «رجلاً قال لـ (المنصور) ـ حين ظفر بأهل الشام، وقد أجلبوا عليه وخالفوه مع عبدالله بن علي ـ:

يا أمير المؤمنين الانتقام عدل، والتجاوز فضل، ونحن نُعيذُ أمير المؤمنين أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين، ولا يبلغ أرفع الدرجتين».

ويقال: أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه.

وقال المأمون: «وددتُ أن أهل الجرائم عرفوا رأيي في

---

(١) (أدب المجالسة): ص/١١٥.
(٢) (أدب المجالسة): ص١١٦.
(٣) (روضة العقلاء) ص/١٦٩.

العفو فسلمت لي صدورهم»[١].

«وأحضر إلى المأمون رجل قد أذنب ذنباً. فقال له: أنت الذي فعلت كذا وكذا قال: نعم يا أمير المؤمنين، أنا ذاك الذي أسرف على نفسه واتكل على عفوك، فعفا عنه وخلى سبيله»[٢].

إلهي لولا محبتك للغفران ما أمهلت من يبارزك بالعصيان، ولولا عفوك وكرمك ماسكنت الجنان، فامنن علينا بعفوك وكرمك ياحنان، يامنان.

---

(١) (أدب المجالسة): ص/١١٦ ـ ١١٧.

(٢) (المستطرف): ١/ ٢٧٣.

بـاب التواضـع

١٩ - عن عياض بن حمار - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ).

[رواه مسلم](١)

قال الله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾ [الشعراء: ٢١٥]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

وفي حديث الباب الحث على لزوم التواضع ومجانبة الكبر، و«الواجب على العاقل لزوم التواضع ومجانبة التكبر، ولو لم يكن في التواضع خصلة تحمل المرء كلما كثر تواضعه ازداد بذلك رفعة، لكان الواجب عليه ألا يتزيّا بغيره».

والتواضع تواضعان: أحدهما محمود، والآخر مذموم، والتواضع المحمود: ترك التطاول على عباد الله والإزراء بهم، والتواضع المذموم: هو تواضع المرء لذي الدنيا رغبة في

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: الجنة/١٦، ح (٦٤)، ٤/٢١٩٨ - ٢١٩٩.

دنياه.

فالعاقل يلزم مفارقة التواضع المذموم على الأحوال كلها، ولا يفارق التواضع المحمود على الجهات كلها»(١).

و«أفضل الناس من تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وأنصف عن قوة، ولا يترك المرء التواضع إلا عند استحكام التكبر، فلا يتكبر على الناس أحد إلا بإعجابه بنفسه، وعجب المرء بنفسه أحد حساد عقله، ومارأيت أحداً تكبر على من دونه إلا ابتلاه الله بالذلة لمن فوقه»(٢).

قال كعب: «ما أنعم الله ـ عز وجل ـ على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله، وتواضع بها لله إلا أعطاه الله ـ عز وجل ـ نفعها في الدنيا، ورفع له بها درجة في الآخرة، وما أنعم الله ـ عز وجل ـ على عبد من نعمة في الدنيا، فلم يشكرها لله، ولم يتواضع بها لله ـ عز وجل ـ إلا منعه الله ـ عز وجل ـ نفعها في الدنيا، وفتح له طبقاً من النار يعذِّبه به إن شاء الله، أو يتجاوز عنه»(٣).

«سأل إبراهيم بن الأشعث الفضيل عن التواضع؟ قال: التواضع أن تخضع للحق، وتنقاد له، ولو سمعته من صبي قبلته منه، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته منه.

---

(١) (روضة العقلاء): ص/٥٩.

(٢) (روضة العقلاء): ص/٦٢.

(٣) (التواضع والخمول): ص/١٤٣ ـ ١٤٤.

وقال ابن المبارك: رأس التواضع أن تضع نفسك عند من هو دونك في نعمة الدنيا حتى تُعلمه أن ليس لك بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في نعمة الدنيا حتى تُعْلِمهُ أن ليس له بدنياه عليك فضل»[(١)].

«وقيل لعبدالملك: أي الرجال أفضل؟ قال: من تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وترك النصرة على قومه.

ودخل ابن السماك على هارون، قال: ياأمير المؤمنين والله لتواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك، فقال: ماأحسن ماقلت فقال: ياأمير المؤمنين إن امرءاً آتاه الله ـ عز وجل ـ جمالاً في خَلْقِه، وموضعاً في حسبه، وبسط له في ذات يده، فعفَّ في جماله، وواسى في ماله، وتواضع في حسبه كُتِبَ في ديوان الله ـ عز وجل ـ من خالص الله ـ عز وجل ـ قال: فدعا هارون بدواة وقرطاس وكتب هذا الكلام بيده»[(٢)].

---

(١) (التواضع والخمول): ص١٤١ ـ ١٤٢.

(٢) (التواضع والخمول): ص/ ١٤٤ ـ ١٤٥.

باب لزوم الصمت وحفظ اللسان

٢٠ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ. قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقُل خيراً أو ليصمُت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم جارهُ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفهُ).

[متفق عليه][1]

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء:٣٦]. وقال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق:١٨].

قوله: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) يعني من كان يؤمن الإيمان الكامل المنجي من عذاب الله، الموصل إلى رضوان الله. (فليقل خيراً أو ليصمت)، لأن من آمن بالله حق إيمانه خاف وعيده، ورجا ثوابه، واجتهد في فعل ما أمر به وترك مانهى عنه، وأهم ماعليه من ذلك ضبط جوارحه التي هي رعاياه، وهو مسؤول عنها، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: الأدب/ ٣١، ٧/ ٧٨ ـ ٧٩، ومسلم في صحيحه الإيمان/ ١٩، ح (٧٤)، ١/ ٦٨، واللفظ له.

وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء:٣٦]. وقال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق:١٨] وآفات اللسان كثيرة..

قال بعضهم في معنى الحديث: إذا أراد الإنسان أن يتكلم، فإن كان مايتكلم به خيراً محققاً يثاب عليه فليتكلم، وإلا فليمسك عن الكلام، سواء ظهر أنه حرام، أو مكروه، أو مباح، فعلى هذا يكون الكلام المباح مأموراً بتركه مندوباً إلى الإمساك عنه مخافة أن ينجر إلى المحرم أو المكروه، وقد يقع ذلك كثيراً، قال الله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق:١٨][(١)].

قال النووي: «وهذا الحديث صريح في إنه ينبغي أن لا يتكلم إلا إذا كان الكلام خيراً، وهو الذي ظهرت مصلحته، ومتى شك في ظهور المصلحة فلا يتكلم»[(٢)].

وقوله ﷺ (فليكرم جاره.. فليكرم ضيفه) فيه تعريف حق الجار والضيف وبرهما. والواجب على العاقل أن يلزم الصمت إلى أن يلزمه التكلم، فما أكثر من ندم إذا نطق، وأقل من يندم إذا سكت، وأطول الناس شقاء وأعظم بلاء من ابتلي بلسان مطلق، وفؤاد مطبق، واللسان فيه عشر خصال يجب على العاقل أن يعرفها، ويضع كل خصلة منها في موضعها:

---

(١) (شرح الأربعين حديثاً النووية): ص/٤٨ ـ ٤٩.
(٢) (رياض الصالحين): ص/٤٤٥.

هو أداة يظهر بها البيان، وشاهد يخبر عن الضمير، وناطق يرد به الجواب، وحاكم يفصل به الخطاب، وشافع تدرك به الحاجات، وواصف تعرف به الأشياء، وحاصد تذهب به الضغينة، ونازع يجذب المودة، ومُسلٍّ يذكي القلوب، ومعزٍّ ترد به الأحزان»[١].

والصمت نجاة، (من صمت نجا)[٢].

وروى أبو حاتم عن كعب أنه قال: «العافية عشرة أجزاء، تسعة في السكوت»[٣] وروى أيضاً عن ابن مسعود أنه قال: «والله الذي لا إله غيره ماشيء أحق بطول سجن من لسان»[٤].

ويقال إنه لما «خرج يونس ـ عليه السلام ـ من بطن الحوت أطال الصمت فقيل له: ألا تتكلم؟ فقال: الكلام صيرني في بطن الحوت»[٥].

وقال مالك بن دينار: «لو كانت الصحف من عندنا لأقللنا الكلام»[٦].

---

(١) (روضة العقلاء): ص/ ٤٣.

(٢) رواه الترمذي في سننه: القيامة/ ٥٠، ح (٢٥٠١)، ٤/ ٦٦٠. وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة، وأحمد في مسنده: ٢/ ١٥٩. والدارمي في سننه: الرقاق/ ٥، ح (٢٧١٦)، ٢/ ٢٠٩.

(٣) (روضة العقلاء): ص/ ٤٦.

(٤) (روضة العقلاء): ص/ ٤٨.

(٥) (أدب المجالسة): ص/ ٨٦.

(٦) (أدب المجالسة): ص/ ٨٦.

وقال الشافعي ـ رحمه الله ـ «إذا أراد أحدكم الكلام فعليه أن يفكر في كلامه فإن ظهرت المصلحة تكلم، وإن شك لم يتكلم حتى تظهر»(١).

ويقال: «اجتمع أربعة حكماء، فقال أحدهم: أنا على رد مالم أقل أقدر مني على رد ما قلت، وقال الآخر: لأن أندم على ما لم أقل، خير من أن أندم على ماقلت، وقال الثالث: إذا تكلمت بالكلمة ملكتني، وإن لم أتكلم بها ملكتها، وقال الرابع: عجبت ممن يتكلم بالكلمة إن ذكرت عنه ضرته، وإن لم تذكر عنه لم تنفعه»(٢).

① Të replikoj atë që s'e kam thënë është më lehtë për mua sesa të replikoj atë që kam thënë.

② Të pendohem për atë që s'e kam thënë është më mirë për mua sesa të pendohem për atë që e kam thënë.

③ Nëse e flas fjalën, ajo më posedon, e nëse nuk e flas, unë e posedoj.

④ Habitem me njerinë që e flet fjalën që nëse përmendet ngjo ai e dëmton, e nëse nuk përmendet ngjo ai nuk i bën dobi.

(١) (المستطرف): ١٢٨/١.
(٢) (أدب المجالسة): ص/٧٩ ـ ٨٠.

باب الأمر بأداء الأمانة

٢١ ـ عن حُذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، قد رأيتُ أحدهما، وأنا انتظر الآخر: حدثنا (أن الأمانة نزلت في جذر[١] قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعلمُوا من القرآن، وعلمُوا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة قال: ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوكت[٢]، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل[٣]، كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه مُنْتَبِراً[٤] وليس فيه شيء، ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله فيصبح الناس يتبايعون، لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، حتى يقال للرجل: ما أجلده ما أظرفه، ما أعقله، ومافي قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ولقد أتى علي زمانٌ وما أبالي أيكم بايعتُ، لئن

(١) جذر. هو أصل الشيء (رياض الصالحين): ص/ ٩٩.
(٢) الوكت: الأثر اليسير (رياض الصالحين): ص/ ٩٩.
(٣) المجل: هو تنقط في اليد ونحوها من أثر عمل وغيره (رياض الصالحين): ص/ ٩٩.
(٤) منتبراً: مرتفعاً (رياض الصالحين): ص/ ٩٩.

كان مسلماً ليردنه عليَّ دينُهُ، ولئن كان نصرانياً أو يهودياً ليردنه على ساعيه(١)، وأما اليوم فما كُنتُ لأبايعُ منكم إلا فلاناً وفلاناً).

[متفق عليه](٢)

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢].

الأمانة بمعناها الشامل هي جميع مافترض الله تعالى على العباد.

ومعنى الحديث أن الأمانة تزول عن القلوب شيئاً فشيئاً، فإذا زال أول جزء منها زل نورها وخلفته ظلمة كالوكت، فإذا زال شيء آخر صار كالمجل، ثم شبه زوال ذلك النور بعد وقوعه في القلب وخروجه بعد استقراره فيه واعتقاب الظلمة إياه بجمر يدحرجه على رجله حتى يؤثر فيها، ثم يزول الجمر، ويبقى التنفط، وأخذه الحصاة ودحرجته إياها المراد به زيادة البيان وإيضاح المذكور. والله أعلم(٣).

---

(١) ساعيه: الوالي عليه. (رياض الصالحين): ص/ ٩٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: الرقاق/ ٣٥، ٧/ ١٨٨ - ١٨٩، ومسلم في صحيحه: الإيمان/ ٦٤، ح (٢٣٠)، ١/ ١٢٦ - ١٢٧ واللفظ له.

(٣) راجع (صحيح مسلم بشرح النووي): ٢/ ١٦٩.

وقد جاءت آثار تبين أن أول مايرفع من هذه الأمة الحياء والأمانة (**أول مايرفع من هذه الأمة الحياء والأمانة فسلوهما الله تعالى**)[١] فإذا ضيعت الأمانة فاعلم أن الساعة قد قربت فانتظر الساعة، وفي الحديث (**إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة**، قال: كيف إضاعتها يارسول الله؟ قال: **إذا أسند الأمر إلى غير أهله**)[٢]، ولأهمية الأمانة نجد أن الرسول ﷺ يربطها بالإيمان فيقول: (**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**)[٣] ولذلك نجد أن خيانة الأمانة من صفات المنافقين (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتُمن خان)[٤].

وقال رسول الله ﷺ: (**كان رجل فيمن كان قبلكم يبايع بالأمانة، فأتاه رجل، فأخذ منه ألف دينار إلى أجل، فحضر الأجل وقد خب**[٥] **البحر، فأخذ خشبة، فجعل فيها الدنانير، ثم أتى البحر فقال: اللهم إن فلاناً بايعني بالأمانة، وقد خب البحر فأدها إليه، قال: ورمى بها في البحر، وأقبلت الخشبة**

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا (مكارم الأخلاق)، ح (٢٦٥)، ص/ ٦٧ ـ ٦٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: الرقاق/ ٣٥، ٧/ ١٨٨.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده: ٣/ ١٣٥، ١٥٤، ٢١٠، ٢٥١. والخرائطي (المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق): ح (٧٥)، ص/ ٤٨.

(٤) رواه البخاري في صحيحه: الإيمان/ ٢٤، ١/ ١٤، ومسلم في صحيحه: الإيمان/ ٢٥، ح (١٠٧)، ١/ ٧٨.

(٥) الخَبُّ: هياج البحر (القاموس المحيط) مادة (خبب).

ترفعها موجة وتضعها أخرى، قال: وخرج الرجل ليتوضأ لصلاة الغداة، فجاءت الخشبة فصكت كعبه، ثم قال لأهله: لا تحدثوا فيها حدثاً حتى أصلي، قال: فأخذها فإذا فيها الدنانير، قال: فكتب وزنها عنده، ثم لقي الرجل بعد زمان، فقال: ألست فلاناً؟ قال: بلى. قال: ألست الذي بايعتك بالأمانة؟ قال: بلى، قال: فأين مالي؟ قال: أتزن؟ ثم قال له: يعلم الله لقد فعلت كذا وكذا، قال: قد أدى الله تعالى عنك أمانتك، ثم قال رسول الله ﷺ: فأي الرجلين أعظم أمانة، الذي أداها ولو شاء لذهب بها؟ أم الذي ردها ولو شاء لأخذها؟)[١]؟.

(١) رواه الخرائطي (المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق): ح (٧٨)، ص/ ٤٩ ـ ٥٠.

باب القناعة والعفاف

٢٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: (ليس الغنى عن كثرة العَرَض[١]، ولكن الغنى غنى النفس).

[متفق عليه][٢]

قال الله تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

معنى الحديث أن الغنى النافع، أو العظيم، أو الممدوح هو غنى النفس، وبيانه أنه «إذا استغنت نفسه كفت عن المطامع، فعزت وعظمت، وحصل لها من الحظوة، والنزهة، والشرف والمدح أكثر من الغنى الذي يناله من يكون فقير النفس لحرصه، فإنه يورطه في رذائل الأمور، وخسائس الأفعال، لدناءة همته وبخله.. والحاصل أن المتصف بغنى النفس يكون قانعاً بما رزقه الله، لا يحرص على الازدياد لغير حاجة، ولا يلح في الطلب، ولا يلحف في السؤال، بل يرضى بما قسم الله له، فكأنه واجد أبداً، والمتصف بفقر النفس على

---

(١) العرض: المال (رياض الصالحين): ص/ ٢٠٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: الرقاق/ ١٥، ٧/ ١٧، ومسلم في صحيحه: الزكاة/ ٤٠، ح (١٢٠)، ٢/ ٧٢٦.

الضد منه لكونه لا يقنع بما أعطي، بل هو أبداً في طلب الازدياد من أي وجه أمكنه، ثم إذا فاته المطلوب حزن وأسف، فكأنه فقير من المال، لأنه لم يستغن بما أعطي، فكأنه ليس بغني، ثم غنى النفس إنما ينشأ عن الرضا بقضاء الله تعالى، والتسليم لأمره، علماً بأن الذي عند الله خير وأبقى، فهو معرض عن الحرص والطلب»[١].

وماأحسن قول الإمام الشافعي في ذلك حيث قال:

ورزقــك ليــس ينقصــه التــأنــي
وليــس يــزيــد فــي الــرزق العنــاء
ولا حــزن يــدوم ولا ســرور
ولا بــؤس عليــك ولا رخــاء
إذا مــاكنــت ذا قلــب قنــوع
فــأنــت ومــالــك الــدنيــا ســواء[٢]

فاحرص أخي المسلم الحرص كله على القناعة والعفاف فإن الأرزاق قد قسمت من لدن خبير حكيم، وتوكل على مقسم الأرزاق ومن يتوكل عليه فهو حسبه، قال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ «إن في القرآن آية لو أن جميع الناس أخذوا بها لكفتهم في القناعة، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ

(١) (فتح الباري): ١١/ ٢٧٢.
(٢) (ديوان الإمام الشافعي): ص/ ١٦ ـ ١٧.

مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]»(١).

واعلم أن الحرص الزائد لن يزيد في الرزق «قال أعرابي لآخر رآه حريصاً: ياأخي، أنت طالب ومطلوب، يطلبك طالب ولن تفوته، وتطلب ماكفيته كأنك لم تر حريصاً محروماً، ولا زاهداً مرزوقاً.

وقال آخر: إنك لا تدرك أملك، ولا تسبق أجلك، ولا تغلب على رزقك، ولا تعطي حظ غيرك، فعلام تهلك نفسك؟ لكل صباح صبوح، ولك عشاء عشاء»(٢).

(وأنه من يستعفف يُعِفُّهُ الله، ومن يستغن يغنه الله)(٣). ولذلك فإن (من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تُسدَّ فاقتهُ، ومنْ أنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل)(٤) هذا في الدنيا، أما في الآخرة فإن له الجنة ـ وعن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: (من تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئاً، وأتكفل له بالجنة، فقال ثوبان: أنا، فكان لا يسأل أحداً

---

(١) (محاضرات الأدباء): ١/ ٥١٥.

(٢) (محاضرات الأدباء): ١/ ٥١٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه: الزكاة/ ٥٠، ٢/ ١٧، ومسلم في صحيحه: الزكاة/ ٤٢، ح (١٢٤)، ١/ ٧٢٩.

(٤) رواه أبوداود في سننه: الزكاة/ ٢٨، ح (١٦٤٥)، ٢/ ٢٩٦، والترمذي في سننه: الزهد/ ١٨، ح (٢٣٢٦)، ٤/ ٥٦٣ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

شيئاً)[١].

وأما (من سأل الناس تكثراً فإنما يسأل جمراً، فليستقل أو ليستكثر)[٢].

وفي هذا يروى أنه «شكا رجل إلى الحسن سوء الحال، وجعل يبكي فقال الحسن: يا هذا كل هذا اهتماماً بأمر الدنيا، والله لو كانت الدنيا كلها لعبد فسلبها مارأيتها أهلاً لأن يبكى عليها.

وشكا أيضاً رجل إلى الشبلي عياله فقال له: ارجع إلى بيتك، ومن لم يكن منهم رزقه على الله فأخرجه من دارك.

وأتى رجل إلى شقيق البلخي يطلبه فقالت امرأته: قد خرج إلى الجهاد. فقال: وماخلف عليكم؟ فقالت: أرازق شقيق أو مرزوق؟ فقال: بل مرزوق. فقالت: إن المرزوق خلف علينا الرازق، ياهذا لا تعد إلينا فتفسد على الله قلوبنا»[٣].

---

(١) رواه أبوداود في سننه: الزهد/ ٢٧، ح (١٦٤٣)، ٢/ ٢٩٥. وقال النووي: رواه أبوداود بإسناد صحيح (رياض الصالحين): ص/ ٢٠٧.

(٢) رواه مسلم في صحيحه: الزكاة/ ٣٥، ح (١٠٥)، ٢/ ٧٢٠.

(٣) (محاضرات الأدباء): ص/ ٥١٥ ـ ٥١٦.

باب الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد

٢٣ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: (آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتُمِنَ خان).

[متفق عليه][١]

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤]. وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾ [النحل: ٩١].

ومعنى (آية المنافق) أي علامته ودلالته.

ومعنى الحديث «أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم»[٢].

والمراد بالوعد في الحديث «الوعد بالخير، وأما بالشر فيستحب إخلافه، وقد يجب ما لم يترتب على ترك إنفاذه

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: الإيمان/ ٢٤، ١/ ١٤، ومسلم في صحيحه الإيمان/ ١٢٥، ح (١٠٧)، ١/ ٧٨.
(٢) (صحيح مسلم بشرح النووي): ٢/ ٤٧.

مفسدة»[١].

وقد أمر الله بالوفاء بالعهد، فقال: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤]، والغدر حرام في كل عهد بين المسلم وغيره، ولو كان المعاهد كافراً، فما بالك إذا كان مسلماً. فيجب الوفاء به من باب أولى.. ونقضه أعظم إثماً.

ومخالفة الوعد نوعان: أحدهما أن يعد وفي نيته أن لا يوفي بوعده وهذا أشر الخلق، الثاني: أن يعد وفي نيته أن يفي ثم يبدو له فيخلف من غير عذر له في الخلف[٢].

فالوفاء من شيم النفوس الشريفة والأخلاق الكريمة، والخلال الحميدة، يعظم صاحبه في العيون، وتصدق فيه خطرات الظنون.

قال أعرابي: وعد الكريم نقد وتعجيل، ووعد اللئيم مطل وتعليل.

وقال أعرابي أيضاً: العذر الجميل خير من المطل الطويل[٣].

---

(١) (فتح الباري): ١/ ٩٠.
(٢) (جامع العلوم): ص/ ٣٧٥.
(٣) راجع (المستطرف): ١/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

بـاب في النصيحة

٢٤ ـ عن أبي رُقية تميم بن أوس الداري ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: (الدين النصيحة. قُلنا: لِمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم).

[رواه مسلم][1]

قال الله تعالى إخباراً عن هود ـ عليه السلام ـ ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف: ٦٨].

هذا حديث عظيم الشأن، وعليه مدار الإسلام[2] كما سنذكره من شرحه، ومعنى قوله: (الدين النصيحة) أي عماد الدين[3].

قال الخطابي: النصيحة كلمة يُعبر بها عن جملة هي: إرادة الخير للمنصوح له، وأصل النصح في اللغة الخلوص، يقال: نصحت العسل إذا خلصته من الشمع. فمعنى النصيحة لله سبحانه: صحة الاعتقاد في وحدانيته وإخلاص النية في عبادته، والنصيحة لكتابه: الإيمان به والعمل بما فيه، والنصيحة لرسوله: التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما أمر به

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: الإيمان/ ٢٣، ح (٩٥)، ١/ ٧٤.
(٢) (صحيح مسلم بشرح النووي): ٢/ ٣٧.
(٣) (شرح الأربعين حديثاً النووية): ص/ ٣٢.

ونهى عنه، والنصيحة لعامة المسلمين: إرشادهم إلى مصالحهم.

وقال أبو عمرو بن الصلاح: النصيحة كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح بوجوه الخير إرادة وفعلاً. فالنصيحة لله تعالى: توحيده ووصفه بصفات الكمال والجلال، وتنزيهه عما يضادها ويخالفها، وتجنب معاصيه، والقيام بطاعته، والحب فيه، والبغض فيه، وجهاد من كفر به تعالى وماضاهى ذلك، والدعاء إلى ذلك، والحث عليه.

والنصيحة لكتابه: الإيمان به، وتعظيمه، وتنزيهه، وتلاوته حق تلاوته، والوقوف مع أوامره ونواهيه، وتفهم علومه وأمثاله، وتدبر آياته، والدعاء إليه، وذبُ تحريف الغالين، وطعن الملحدين عنه.

والنصيحة لرسوله ﷺ قريب من ذلك: الإيمان به وبما جاء به، وتوقيره، وتبجيله، والتمسك بطاعته، وإحياء سنته، واستنشار علومه ونشرها، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه ووالاها، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه، ومحبة آله وأصحابه، ونحو ذلك.

والنصيحة لأئمة المسلمين: معاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وتذكيرهم به، وتنبيههم في رفق ولطف، ومجانبة الوثوب عليهم، والدعاء لهم بالتوفيق وحث الأغيار على ذلك.

والنصيحة لعامة المسلمين: إرشادهم إلى مصالحهم وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم، وستر عوراتهم وسد خلاتهم، ونصرتهم على أعدائهم والذبُ عنهم، ومجانبة الغش والحسد لهم، وأن يحب لهم مايحب لنفسه، ويكره لهم مايكره لنفسه، وماشابه ذلك.

قال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام، وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للأمة.

وسئل ابن المبارك: أي الأعمال أفضل؟ قال النصح لله.

وقال معمر: كان يقال أنصح الناس لك من خاف الله فيك.

وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سراً حتى قال بعضهم: من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبخه.

وقال الفضيل بن عياض أيضاً: المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير(١).

وقال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ:

تعمـــدنـــي بنصحـــك فـــي انفـــرادي
وجنبنـــي النصيحـــة فـــي الجمـــاعـــة

---

(١) راجع (جامع العلوم والحكم): ص/٦٨ ـ ٧١.

فـإن النصـح بيـن النـاس نـوع
مـن التـوبيـخ لا أرضـى استمـاعـه
وإن خـالفتنـي وعصيـت قـولـي
فـلا تجـزع إذا لـم تعـط طـاعـة[١]

وقال الإمام الشافعي أيضاً: «من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه»[٢].

وروي «أن جريراً أمر مولاه أن يشتري له فرساً، فاشترى له بثلاثمائة درهم، وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن. فقال جرير لصاحب الفرس: فرسك خير من ثلاثمائة درهم أتبيعه بأربعمائة درهم. قال: ذلك إليك يا أبا عبدالله. فقال: فرسك خير من ذلك أتبيعه بخمسمائة درهم، ثم لم يزل يزيده مائة فمائة وصاحبه يرضى وجرير يقول: فرسك خير، إلى أن بلغ ثمانمائة درهم، فاشتراه بها، فقيل له في ذلك فقال: إني بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم»[٣].

وكان جرير يقول لصاحبه: «اعلم أن ما أخذنا منك أحب إلينا مما أعطيناك فاختر»[٤].

---

(١) (ديوان الإمام الشافعي): ص/٥٦.
(٢) (صحيح مسلم بشرح النووي): ٢/٢٤.
(٣) (صحيح مسلم بشرح النووي): ٢/٢٤.
(٤) (فتح الباري): ١/١٣٩.

باب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٢٥ ـ عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان).

[رواه مسلم][1]

قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)﴾. [آل عمران: ١٠٤]. وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قوله ﷺ (فليغيره) أمر إيجاب بإجماع الأمة، وهو أيضاً من النصيحة التي هي الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن فيه بلا عذر ولا خوف[2].

ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: الإيمان/ ٢٠، ح (٧٨)، ١/ ٦٩.

(٢) راجع (صحيح مسلم بشرح النووي): ٢/ ٢٣ ـ ٢٥.

الولايات، بل ذلك جائز لآحاد المسلمين، ثم إنه إنما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به وينهى عنه، وذلك يختلف باختلاف الشيء، فإن كان من الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة كالصلاة والزنى ونحوها، فكل المسلمين علماء بها، وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال ومايتعلق بالاجتهاد، لم يكن للعوام مدخل فيه، ولا لهم إنكاره بل ذلك للعلماء، ثم العلماء ينكرون ما أجمع عليه، أما ما اختلف فيه فلا إنكار فيه، ولكن إن ندبه على جهة النصيحة إلى الخروج من الخلاف فهو حسن محبوب مندوب إلى فعله برفق، وينبغي على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يرفق ليكون أقرب إلى تحصيل المطلوب، كما يستحب أن يكون المتولي لذلك من أهل الصلاح والفضل[(١)].

واعلم أن هذا الباب عظيم به قوام الأمر وملاكه، ويصور لنا رسول الله ﷺ أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تشبيه بليغ بأصحاب السفينة، فيقول: (**مثل القائم في حدود الله[(٢)] والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضُهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نُؤذ منْ فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا**

---

(١) (صحيح مسلم بشرح النووي): ٢/ ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) القائم في حدود الله: أي المنكر لها، القائم في دفعها وإزالتها، والمراد بالحدود: مانهى الله عنه (رياض الصالحين) ص/ ٩٤.

جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً)[١].

ومن جهة أخرى إذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يؤخذ على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:٦٣]. وفي الحديث: **(والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)**[٢].

وأما صفة النهي ومراتبه فقد بينه النبي ﷺ في حديث الباب: (فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطيع فبقلبه). فقوله (فبقلبه) معناه فليكرهه بقلبه، وليس ذلك بإزالة وتغيير منه للمنكر، ولكنه هو الذي وسعه. (وذلك أضعف الإيمان) معناه ـ والله أعلم ـ أقله ثمرة.

وينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر إذا غلب على ظنه أن تغييره بيده يسبب منكراً أشد منه كف يده، والاقتصار على القول باللسان والوعظ والتخويف، فإن خاف أن يسبب قوله مثل ذلك غير بقلبه وكان في سعة[٣].

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: الشركة/٦، ٣/١١١. والترمذي في سننه، الفتن/١٢، ح (٢١٧٣)، ٤/٤٧٠.

(٢) رواه الترمذي في سننه: الفتن/ح (٢١٦٩)، ٤/٤٦٨ وقال هذا حديث حسن.

(٣) راجع (صحيح مسلم بشرح النووي): ٢/٢٥.

ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

وقال أبو أمية الشعباني: سألت أبا ثعلبة الخُشني عنها، قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، قال: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: **(بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شُحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنياً مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك ودع العوام، فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم)**[1].

---

(١) رواه الترمذي في سننه: تفسير القرآن/٦، ح (٣٠٥٨)، ٥/٢٥٨ ـ ٢٥٧، وقال: هذا حديث حسن غريب.

بـاب في الرحمـة

٢٦ ـ عن جرير بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: (من لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ).

[متفق عليه][١]

قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩] وقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر:٨٨].

روى مسلم من طريق آخر عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن الأقرع بن حابس أبصر النبي ﷺ ـ يقبل الحسن ـ فقال: إن لي عشرة من الولد ماقبلت واحداً منهم فقال رسول الله ﷺ: (إنه من لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ)[٢]. قال النووي: «قال العلماء هذا عام يتناول رحمة الأطفال وغيرهم»[٣].

وفي حديث الباب الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق، «فيدخل المؤمن والكافر والبهائم المملوكة منها وغير

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، الآداب/ ٢٧، ٧/ ٧٨، ومسلم في صحيحه: الفضائل/ ١٥، ح (٦٦)، ٤/ ١٨٠٩.

(٢) رواه مسلم في صحيحه: الفضائل/ ١٥، ح (٦٥)، ٤/ ١٨٠٨ ـ ١٨٠٩.

(٣) (صحيح مسلم بشرح النووي): ١٥/ ٧٧.

المملوكة، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام، والسقي، والتخفيف في الحمل، وترك التعدي بالضرب»[١].

فيجب على المسلم أن يلتزم الرحمة في تعامله مع إخوته ليرحمه الله (**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**)[٢]، و(**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**)[٣]، والتعامل بالرحمة من سمات المجتمع الإسلامي، قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩] وقال رسول الله ﷺ: (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى**)[٤].

والرسول ﷺ أسوتنا الحسنة، فقد كان رحيماً عطوفاً. قال أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: (**مارأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ**)[٥]. ولم تقتصر هذه الرحمة على الصغار وحدهم، بل كان يشمل الصغار والكبار، حتى وصفه ربه: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

وقد قيل: من أمارات الكرم الرحمة، ومن أمارات اللؤم القسوة[٦].

---

(١) (فتح الباري): ١٠/ ٤٤٠.
(٢) رواه البخاري في صحيحه: الجنائز/ ٣٣، ٢/ ٨٠.
(٣) رواه أبوداود في سننه: الأدب/ ٦٦ ح (٤٩٤٢)، ٥/ ٢٣٢.
(٤) رواه مسلم في صحيحه: البر/ ١٧، ح (٦٦)، ٤/ ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠.
(٥) رواه مسلم في صحيحه: الفضائل/ ١٥، ح (٦٣)، ٤/ ١٧٠٨.
(٦) (محاضرات الأدباء): ١/ ٢٢٥.

باب ملازمة الذكر وفضله

٢٧ ـ عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ (مَثل الذي يَذكُرُ ربَّهُ والذي لا يذْكُرُ مثلُ الحي والميِّتِ).

[رواه البخاري][١]

قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾ [الجمعة: ١٠] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢].

الذكر على ثلاثة ضروب:

ذكر باللسان ويراد به «الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد، والذكر بالقلب التفكر في أدلة الذات والصفات، وفي أدلة التكاليف من الأمر والنهي حتى يطلع على أحكامها، وفي أسرار مخلوقات الله، والذكر بالجوارح، هو أن تصير مستغرقة في الطاعات»[٢].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: الدعوات/ ٦٦، ٧/ ١٦٨.
(٢) (فتح الباري): ١١/ ٢١١.

إذاً «فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها، بل كل عامل لله بطاعة فهو ذاكر لله تعالى، كما قاله سعيد بن جبير - رضي الله عنه - وغيره من العلماء.

وقال عطاء - رحمه الله -: مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام، كيف تشتري، وتبيع، وتصلي، وتصوم، وتنكح، وتطلق، وتحج، وأشباه هذا»[١].

وأفضل الذكر ماكان بالقلب واللسان جميعاً، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل، ثم لا ينبغي أن يترك الذكر باللسان مع القلب خوفاً من أن يظن به الرياء، بل يذكر بهما جميعاً، ويقصد به وجه الله[٢].

وفي حديث الباب فضل ذكر الله - عز وجل - وشُبِّهَ الذاكر بالحي الذي ينبض بالحياة، وغير الذاكر بالميت. «وقيل: موقع التشبيه بالحي والميت لما في الحي من النفع لمن يواليه والضر لمن يعاديه، وليس ذلك في الميت»[٣].
وللذكر فوائد كثيرة منها:

١ الذاكرون هم السابقون في الخيرات والدرجات العُلى.

---

(١) (الأذكار): ص/٧.
(٢) راجع (الأذكار): ص/٦.
(٣) (فتح الباري): ١١/٢١١.

وفي الحديث (سبق المُفرِّدُون قالوا: وما المُفرِّدُون يارسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات)(١).

والذكر حصن حصين للإنسان. قال رسول الله ﷺ: **(ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثلاث مرات لم يضره شيء)**(٢).

ولذلك نجد أن رسول الله ﷺ يأمرنا بالذكر فيقول: **(فآمركم أن تذكروا الله، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى)**(٣).

وبالذكر تحل عقدة الشيطان، قال رسول الله ﷺ: **(يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقد يضرب كل عقدة، عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلَّت عُقدة فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عُقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان)**(٤).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: الدعاء/١، ح (٣)، ٤/٢٠٦٢.
(٢) رواه الترمذي في سننه: الدعوات/١٣، ح (٣٣٨٨)، ٤/٤٦٥.
(٣) رواه الترمذي في سننه: الأمثال/٣ ح (٢٨٦٣)، ٥/١٤٨ ـ ١٤٩ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.
(٤) رواه البخاري في صحيحه: التهجد/١٢، ٢/٤٦.

والذي يذكر الله، يذكره الله، وياله من فضل عظيم وشرف رفيع ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

ـ والذكر قوت القلوب، والروح، فبدونه يفقد الإنسان النور والحياة فيصبح أقرب إلى البيت الخرب.

ـ والذكر يزيد حب الله في القلوب، وسبب في محبة الله للعبد.

ـ والذكر يورث الهيبة لله ـ عز وجل ـ.

ـ والذكر سبب لنزول الطمأنينة والسكون ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨].

والذكر سبب الفلاح ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: ١٠].

وقد وردت آثار كثيرة في فضل التكبير والتسبيح والتحميد ولسنا هنا بصدد ذكرها، ولمن أراد الاستزادة فعليه مراجعة كتب الأذكار.

أما آداب الذكر فهي:

١ ـ ينبغي أن يكون الذاكر على أكمل الصفات، فإن كان جالساً في موضع استقبل القبلة وجلس متذللاً بسكينة ووقار، ولو ذكر على غير هذه الأحوال جاز ولا كراهة في حقه، لكن إن كان بغير عذر كان تاركاً للأفضل.

٢ ـ وينبغي أن يكون الموضع الذي يذكر فيه نظيفاً، فإنه أعظم في احترام الذكر والمذكور، ولهذا مُدح الذكر في المساجد والمواضع الشريفة.

٣ ـ وينبغي أيضاً أن يكون فمه نظيفاً، فإن كان فيه تغير أزاله بالسواك، وإن كان فيه نجاسة أزالها بالغسل بالماء، فلو ذكر ولم يغسلها فهو مكروه ولا يحرم.

٤ ـ ويستحب الذكر في جميع الأحوال إلا في أحوال ورد الشرع باستثنائها، فمن ذلك: يكره الذكر حالة الجلوس على قضاء الحاجة، وفي حالة الجماع.. إلخ.

٥ ـ المراد من الذكر حضور القلب، فينبغي أن يكون هو مقصود الذاكر، فيحرص على تحصيله، ويتدبر مايذكر، ويتعقل معناه.

٦ ـ ينبغي لمن كان له وظيفة من الذكر في وقت من ليل أو نهار، أو عقب صلاة أو حالة من الأحوال ففاتته، أن يتداركها ويأتي بها إذا تمكن منها ولا يهملها[١].

---

(١) راجع (الأذكار): ص/ ٨ ـ ٩.

باب في لزوم العدل

٢٨ ـ عن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ المُقْسِطِين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ـ عز وجل ـ وكِلْتا يديه يمينٌ، الذين يعدلون في حُكمهم وأهليهم وما وَلُوا).

[رواه مسلم][1]

قال الله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات: ٩].

العَدالةُ والمُعَادلة لفظ يقتضي معنى المساواة، ويستعمل باعتبار المضايفة، والعَدْل والعِدلُ يتقاربان، لكن العَدْل يستعمل فيما يدرك بالبصيرة كالأحكام وعلى ذلك قوله: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة: ٩٥].

«والعِدل والعَديل فيما يدرك بالحاسة كالموازنات والمعدودات والمكيلات. فالعدل هو: المساواة في المكافأة إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، والإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه، والشر بأقل منه»[2].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: الإمارة/ ٥، ح (١٨)، ٣/ ١٤٥٨.
(٢) (المفردات): ص/ ٣٢٥.

ومعنى حديث الباب أن هذا الفضل وهذه المكانة الرفيعة «إنما هي لمن عدل فيما تقلده من خلافة، أو إمارة، أو قضاء، أو حسبة، أو نظر على يتيم أو صدقة، أو وقف، وفيما يلزمه من حقوق أهله وعياله ونحو ذلك»(١).

ولذلك نجد أن الله ـ عز وجل ـ يأمر نبيه بالعدل ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥]. ونحن أيضاً مأمورون بالعدل بين الناس ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

ويجب ألا يكون للهوى نصيب في أحكامنا، بل نلتزم العدل في جميع شؤوننا، حتى ولو كان الحق علينا أو على أقرب الناس إلينا، كالوالدين والأقرباء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء: ١٣٥]. وهذا المنهاج نلتزم به حتى مع أبغض الناس إلينا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨].

«ويقال: عدل السلطان أنفع من خصب الزمان، وقيل إذا

---

(١) (صحيح مسلم بشرح النووي): ١٢/ ٢١٢.

رغب السلطان عن العدل رغبت الرعية عن طاعته.

وكتب بعض عمال عمر بن عبدالعزيز ـ رضي الله عنه ـ يشكو إليه من خراب مدينته، ويسأله مالاً يرممها به، فكتب إليه عمر: قد فهمت كتابك، فإذا قرأت كتابي فحصن مدينتك بالعدل، ونقِّ طرقها من الظلم فإنه مرمتها والسلام»[1].

و«لما ولي عمر بن عبدالعزيز أخذ في رد المظالم فابتدأ بأهل بيته فاجتمعوا إلى عمة له كان يكرمها وسألوها أن تكلمه، فقال لها: إن رسول الله ﷺ سلك طريقاً، فلما قبض سلك أصحابه به ذلك الطريق الذي سلكه رسول الله ﷺ فلما أفضى الأمر إلى معاوية جره يميناً وشمالاً، وايم الله لئن مد الله في عمري لأردنه إلى ذلك الطريق الذي سلكه رسول الله ﷺ، وأصحابه فقالت له: يا ابن أخي إني أخاف عليك منهم يوماً عصياً. فقال: كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا أَمَّننيه الله»[2].

---

(١) (المستطرف): ١/١٥٨.
(٢) (المستطرف): ١/١٦٠.

بــاب الصــدق

٢٩ ـ عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ﷺ قال: (إنَّ الصدق يهدي إلى البِّر وإنَّ البِرَّ يَهْدي إلى الجنَّةِ، وإنَّ الرجلَ لَيَصْدُقُ حتى يكونَ صِدِّيقاً، وإنَّ الكَذِبَ يَهْدي إلى الفُجُور، وإنَّ الفُجورَ يَهْدي إلى النار، وإن الرجُل ليكذبُ حتى يُكْتَب عنْد الله كذَّاباً).

[متفق عليه][1]

قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة: ١١٩] وقال تعالى: ﴿ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾ [محمد: ٢١].

الصدق مطابقة القول بالضمير، والمخبر عنه[2].

قال العلماء: معنى الحديث إن الصدق يهدي إلى العمل الصالح الخالص من كل مذموم، والبر: اسم جامع للخير كله، وقيل البر: الجنة، ويجوز أن يتناول العمل الصالح والجنة،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: الأدب/٦٩، ٧/٩٥، ومسلم في صحيحه: البـــر/٢٩، ح (١٠٣)، ح (١٠٤)، ح (١٠٥)، ٤/٢٠١٢ ـ ٢٠١٣، والترمذي في سننه: البر/٤٦، ح (١٩٧١)، ٤/٣٤٧.

(٢) (فتح الباري): ١٠/٥٠٧.

وأما الكذب فيوصل إلى الفجور.

والحديث فيه حث على تحري الصدق، وكتبه الله لمبالغته صديقاً إن اعتاده[١].

والصدق ضرورة من ضرورات المجتمعات الإنسانية، وأساس مهم في بنيانها، ولولاه لتفكك جميع روابط المجتمع والروابط الإجتماعية بين الناس، إذ لا يمكن تصور مجتمع لا يتعاملون فيما بينهم بالصدق؟.

والصدق مما فطر عليه بنو البشر، ويكفيك للاستدلال على ذلك أن الطفل الصغير إذا قصصت عليه قصة رجل صادق وآخر كاذب تراه يحب الصادق ويكره الكاذب.

«قال المرُوذي: قلت لأبي عبدالله أحمد بن حنبل: بِمَ نال من نال مانال حتى ذكر به؟ فقال لي: بالصدق، ثم قال: إن الصدق موصول بالجود»[٢].

وقال فضيل بن عياض: «ماتزين الناس بشيء أفضل من الصدق»[٣].

خطب بلال لأخيه امرأة قرشية فقال لأهلها: نحن من قد عرفتم كنا عبدين فأعتقنا الله تعالى، وكنا ضالين فهدانا الله

---

(١) راجع (صحيح مسلم بشرح النووي): ١٦/ ١٦٠.
(٢) (طبقات الحنابلة): ١/ ٥٨.
(٣) (حلية الأولياء): ٨/ ١٠٩.

تعالى، وكنا فقيرين فأغنانا الله تعالى، وأنا أخطب إليكم فلانة لأخي فإن تنكحوها له فالحمد لله تعالى، وإن تردونا فالله أكبر، فأقبل بعضهم على بعض فقالوا: بلال ممن عرفتم سابقته ومشاهده ومكانه من رسول الله ﷺ فزوجوا أخاه فزوجوه، فلما انصرفوا قال له أخوه: يغفر الله لك ماكنت تذكر سوابقناومشاهدنا مع رسول الله ﷺ وتترك ماعدا ذلك فقال: مه ياأخي: صدقت فأنكحك الصدق»[١].

قال إسماعيل بن عبدالله المخزومي: «أمرني عبدالملك بن مروان أنْ أعلم بنيه الصدق كما أعلمهم القرآن، وأن أجنبهم الكذب وإن كان فيه يعني القتل»[٢].

وكان ربعي بن حراش لم يكذب كذباً قط، وأقبل ابناه من خراسان وهما عاصيان قد تأجَّلا، فجاء العريف إلى الحجاج فقال: أيها الأمير إن الناس يزعمون أن رِبْعي بن حراش لم يكذب كذبة قط، وقد قدم ابناه من خراسان وهما عاصيان، فقال الحجاج: عليَّ به. فلما جاء قال: أيها الشيخ: قال: ماتشاء؟ قال: مافعل ابناك؟ قال: المستعان الله، خلَّفتُهما في البيت. قال: لا جرم والله لا أسوؤك فيهما، هما لك»[٣].

---

(١) (المستطرف): ١/٣٥٦.
(٢) (مكارم الأخلاق): رقم (١٢٢)، ص/٢٧.
(٣) (مكارم الأخلاق): رقم (١٣٥)، ص/٢٩ ـ ٣٠.

باب تحريم الكذب

٣٠ ـ عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: (أربعٌ مَنْ كُنَّ فيه كان مُنافقاً خالِصاً، ومن كانتْ فيه خَصْلَةٌ مِنهُنَّ كانت فيه خَصْلةٌ من النِّفاقِ حتى يدعها: إذا اؤتُمَن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر).

[متفق عليه][1]

قال تعالى: ﴿وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

اعلم أن الكذب من أخطر الأمراض التي تصيب المجتمعات، ورذيلة من رذائل السلوك ذات أضرار بالغة، إذ لا يمكن تصور مجتمع يكون الكذب أساس التعامل فيما بين أفراده.

والكذب من صفات المنافقين كما في حديث الباب، (إنما يكذب الكاذب من مهانة نفسه عليه)[2]، ولذلك فهو أبعد مايكون عن المسلم. (**قيل لرسول الله ﷺ أيكون المؤمن جباناً؟**

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: الإيمان/ ٢٤، ١/ ١٤، ومسلم في صحيحه: الإيمان/ ٢٥، ح (٥٨)، ١/ ٧٨.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في (مكارم الأخلاق)، ح (١٥٣)، ص/ ٣٤.

فقال: نعم. فقيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ فقال: نعم. فقيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟ فقال: لا).(١).

وكان أبغض الصفات إلى الرسول ﷺ الكذب، قالت عائشة - رضي الله عنها -: (ماكان خُلق أبغضُ إلى رسول الله من الكذب، ولقد كان الرجل يحدث عند النبي ﷺ بالكذبة فما يزال في نفسه حتى يعلم أنه قد أحدث منها توبة)(٢).

وإذا كان الناس ينفرون من الكذب لما له من آثار وخيمة على الفرد والمجتمع، فإن المَلَكَ أيضاً ينفر من نتنه، (إذا كذب العبدُ تباعد عنه الملكُ ميلاً من نتن ماجاء به)(٣).

والكذب كذب سواء كان مزاحاً، أو جداً، لصغير كان أو لكبير، حتى ولو (قال لصبي هاك ثم لم يُعْطِه فهي كذبةٌ)(٤).

وأكبر الكذب أن يكذب على الله، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ [الأنعام:٩٣]. وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا

---

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ، باب ماجاء في الصدق، ح (١٨١٦)، ص/٧١. وابن أبي الدنيا في (مكارم الأخلاق). ح (١٤٧). ص/٣٢. ورواه بنحوه من طريق آخر في ح (١٤)، ص/٣١.

(٢) رواه الترمذي في سننه: البر/٤٦، ح (١٩٧٣)، ٣٤٨/٤. وقال: هذا حديث حسن.

(٣) رواه الترمذي في سننه: البر/٤٦، ح (١٩٧٢). وقال هذا حديث حسن جيد غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه تفرد به عبدالرحيم بن هارون.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده: ٤٥٢/٢.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود: ١٨].

ومن الفرية الكذب على رسول الله ﷺ: **(من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)**[١].

قال الفضيل: ما من مضغة أحب إلى الله تعالى من اللسان إذا كان صدوقاً، ولا مضغة أبغض إلى الله إذا كان كذوباً[٢].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: المقدمة/٢، ح (٣)، ح (٤)، ١/١٠.

(٢) (المستطرف): ١/٣٥٨.

باب تحريم الغيبة

٣١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: (أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسولُهُ أعلمُ. قال: ذِكْرُكَ أخاكَ بما يكْرهُ. قيل: أفرأيت إنْ كان في أخي ما أقُولُ؟ قال: إن كان فيه ماتقُولُ فقد اغْتَبْتَهُ، وإن لم يكن فيه فقد بَهَتَّهُ).

[رواه مسلم][1]

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢].

«الغيبة ذكر الإنسان في غيبته بما يكره، وبَهَتَّهُ بفتح الهاء مخففة من البهتان وهو الباطل»[2].

الغيبة من أقبح القبائح وأكثرها انتشاراً في الناس حتى لا يسلم منها إلا القليل من الناس. وشبه الله ـ عز وجل ـ الغيبة بأكل لحم الميتة، لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه كما أن الحي

(١) رواه مسلم في صحيحه: البر/ ٢٠، ح (٧٠)، ٤/ ٢٠٠١.
(٢) (صحيح مسلم بشرح النووي): ١٦/ ١٤٢.

لا يعلم بغيبة من اغتابه، قال قتادة: كما يمتنع أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً كذلك يجب أن يمتنع من غيبته حياً[(١)].

قال رسول الله ﷺ: (**لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: منْ هؤلاء ياجبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم**)[(٢)].

وكما تحرم الغيبة يحرم أيضاً سماع الغيبة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [القصص:٥٥]. وعلى المسلم إذا سمع غيبة محرمة عليه ردها، والإنكار على قائلها، فإن عجز فارق ذلك المجلس إن أمكنه (**مَنْ ردَّ عن عرض أخيه ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة**)[(٣)].

«قال أبو قلابة الرقاشي: سمعت أبا عاصم يقول: مااغتبت أحداً مذ عرفت ما في الغيبة. وكان ميمون بن سياه لا يغتاب أحداً، ولا يدع أحداً يغتاب أحداً عنده، ينهاه فإن انتهى وإلا قام»[(٤)].

---

(١) راجع (تفسير القرطبي): ١٦/٣٣٥.

(٢) رواه أبوداود في سننه: الأدب/ ٤٠، ح (٤٨٧٨)، ٥/ ٩٤، وأحمد في مسنده: ٣/ ٢٢٤.

(٣) رواه الترمذي في سننه: البر/ ٢٠، ح (١٩٣١)، ٤/ ٣٢٧. وقال: هذا حديث حسن.

(٤) (تفسير القرطبي): ١٦/ ٣٣٦.

وتباح الغيبة لغرض صحيح شرعي لايمكن الوصول إليه إلا بها، وهو ستة أسباب:

الأول: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما فيقول: ظلمني فلان.

الثاني: الاستعانة على تغيير منكر، كمن يقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا فأزجره عنه، ونحو ذلك.

الثالث: الاستفتاء، كمن يقول: ظلمني فلان بكذا فهل له ذلك؟.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم.

الخامس: أن يكون مجاهراً بفسقه أو بدعته.

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفاً بلقب كالأعمش والأعرج، وغيرهما جاز تعريفه بذلك[1].

«ويقال لا تأمن من كذب لك أن يكذب عليك، ومن اغتاب عندك غيرك أن يغتابك عند غيرك».

وقيل للحسن البصري ـ رحمه الله ـ: إن فلاناً اغتابك، فأهدى إليه طبقاً من رطب، فأتاه الرجل وقال له: اغتبتك فأهديت إليَّ، فقال الحسن: أهديت إليَّ حسناتك

(١) (رياض الصالحين للنووي): ص/ ٤٥٠ ـ ٤٥١.

فأردت أن أكافئك.

وعن ابن المبارك ـ رحمه الله تعالى ـ قال: لو كنت مغتاباً أحداً لاغتبت والديَّ لأنهما أحق بحسناتي»[1].

(١) (المستطرف): ١/ ١٣١.

باب تحريم النميمة

٣٢ ـ عن حذيفة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (لايدخلُ الجنَّة نَمَّامٌ) وفي رواية للبخاري (قتَّات).

[متفق عليه](١)

قال الله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ [القلم: ١١].

«أصل النَّمِيمة الهمس والحركة الخفيفة، والنميمة الوشاية»(٢)، وهي: نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد»(٣).

«والنمام الذي يحضر القصة فينقلها، والقتات الذي يتسمع من حيث لا يعلم به، ثم ينقل ماسمعه»(٤) وقيل: القتات هو النمام(٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: الأدب/ ٥٠، ٧/ ٨٦، ومسلم في صحيحه: الإيمان/ ٤٥، ح (١٦٨)، ١/ ١٠١.

(٢) (المفردات): ص/ ٥٠٦.

(٣) (صحيح مسلم بشرح النووي): ١٦/ ١٥٩.

(٤) (فتح الباري): ١٠/ ٤٧٣.

(٥) (صحيح مسلم بشرح النووي): ٢/ ١١٢.

وإذا كان المستحل للنميمة مع معرفته بتحريمها يعاقب بالحرمان من الجنة في الآخرة فإنه يعذب أيضاً في البرزخ، مر رسول الله ﷺ بقبرين فقال: (**إنهما ليُعَذَّبان، وما يُعذَّبان في كبير. أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله**)[1].

«وينبغي لمن حملت إليه النميمة أن لا يصدق من نمَّ له، ولا يظن بمن نُم عنه ما نقل عنه، ولا يبحث عن تحقيق ماذكر له، وأن ينهاه ويقبح له فعله، وأن يبغضه إن لم ينزجر، وأن لا يرضى لنفسه مانهى النمام عنه، فينمَّ هو على النَّمام فيصير نماماً»[2].

هذا إذا لم يكن في النقل مصلحة شرعية، وإلا فهي مستحبَّة أو واجبة، كمن اطلع من شخص على أنه يريد الفتك بشخص آخر، أو بأهله أو بماله ظلماً، أو ما أشبه ذلك[3].

قال العتبي: «سمعت أعرابية توصي ابناً لها، فقالت: عليك بحفظ السرِّ، وإياك والنميمة، فإنها لا تترك مودة إلا أفسدتها، ولا ضغينة إلا أوقدتها»[4].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: الوضوء/٥٦، ١/٦١، ومسلم في صحيحه: الطهارة/٣٤، ح (١١١)، ١/٢٤٠.
(٢) (فتح الباري): ١٠/٤٧٣.
(٣) (صحيح مسلم بشرح النووي): ٢/١١٣.
(٤) (روضة العقلاء): ص/١١٧.

وقال يحيى بن أبي كثير: «الذي يعمله النمام في ساعة لا يعمله الساحر في الشهر»[١].

«كلم معاوية الأحنف في شيء بلغه عنه فأنكره الأحنف، فقال معاوية: بلغني عنك الثقة. فقال له الأحنف: إن الثقة لا يبلغ مكروهاً»[٢].

---

(١) (روضة العقلاء): ص/ ١٧٩.

(٢) (المستطرف): ١/ ١٣٤.

باب الحذر من الغضب

٣٣ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (لَيْس الشَّديدُ بالصُرَعة إنما الشَّديدُ الذي يَمْلكُ نَفْسهُ عنْد الغضب).

[متفق عليه][1]

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الشورى: ٣٧]. وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وفي حديث الباب فضيلة كظم الغيظ وإمساك النفس عند الغضب عن الانتصار والمخاصمة والمنازعة.

ولمن كظم غيظه وهو قادر على أن ينفذه أجر عظيم. وفي الحديث **(مَنْ كظم غيظاً وهو يستطيع أن يُنفِّذهُ دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يُخَيِّرهُ في أي الحُور شاء)**[2].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: الأدب/ ٧٦، ٧/ ٩٩، ومسلم في صحيحه: البر/ ٣٠، ح (١٠٧)، ٤/ ٢٠١٤.

(٢) رواه الترمذي في سننه: البر/ ٧٤، ح (٢٠٢١)، ٤/ ٣٧٢. وقال: هذا حديث غريب.

واعلم أن «سرعة الغضب من شيم الحمقى، كما أن مجانبته من زي العقلاء، والغضب بذر الندم، فالمرء على تركه قبل أن يغضب أقدر على إصلاح ماأفسده به بعد الغضب»(١).

ولما كان الغضب من الأخلاق المذمومة فعلى المرء أن يوطِّن نفسه على البعد عنه، وذلك بمراعاة الأمور التالية:

ـ لما كان الغضب في غير الله تعالى من نزغ الشيطان فإن الاستعاذة سبب لزوال الغضب. قال سليمان بن صُرَد: اسْتَبَّ رجلان عند النبي ﷺ فجعل أحدهما تَحمَرُّ عيناه وتنتفِخُ أوداجُهُ قال رسول الله ﷺ: **(إني لأعرف كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)**(٢).

ـ والوضوء يطفىء الغضب **(إنَّ الغضب من الشيطان، وإنَّ الشيطان خُلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ)**(٣).

ـ كما أن تغيير هيئة المرء وحالته في ساعة الغضب له أثر في التخفيف من الغضب. وفي الحديث **(إذا غضبت قائماً فاقعد، وإذا غضبت قاعداً فقم، أو قال: فاضطجع)**(٤).

---

(١) (روضة العقلاء): ص/١٣٩.
(٢) رواه مسلم في صحيحه: البر/٣٠، ح (١٠٩)، ٤/٢٠١٥.
(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده: ٢/٢٢٦.
(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده: ٥/١٥٢.

- والسكوت دواء عظيم للغضب (**وإذا غضب أحدكم فليسكت**)(١).

هذا هو الغضب في غير الله، وهو المنهي عنه، أما الغضب المطلوب والمحمود فهو الغضب إذا انتهكت حرمات الله، والانتصار لدين الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠].

وكان رسول الله ﷺ لا ينتقم لنفسه، ولكن إذا انتهكت حرمات الله لم يقم لغضبه شيء، وفي قصة المخزومية التي سرقت نجد رسول الهدى ﷺ يغضب غضباً شديداً عندما يشفع لها حِبُّ رسول الله ﷺ قالت عائشة: (إن قريشاً أهمَّهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت. فقالوا: من يكلم رسول الله ﷺ؟ فقالوا: من يجترىء عليه إلا أسامة حِبُّ رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: **أتشفع في حدٍّ من حدود الله تعالى؟ ثم قام فاختطب فقال: أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايْمُ الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**)(٢).

«قال جعفر بن محمد: الغضب مفتاح كل شر».

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده: ١/ ٢٣٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: الحدود/ ١١، ٨/ ١٦، ومسلم في صحيحه: الحدود/ ٢، ح (٨)، ٣/ ١٣١٥ واللفظ له.

وقيل لابن المبارك: اجمع لنا حسن الخلق في كلمة. قال: ترك الغضب. وكذا فسر الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه حسن الخلق بترك الغضب»[١].

وروي أنه قام «رجل إلى عمر بن عبدالعـزيز فكلمه بكلام أغضبه. فقال: أردت أن يستفزني الشيطان فإياك ومعاودة مثله، عافاك الله»[٢].

---

(١) (جامع العلوم): ص/ ١٢٥.
(٢) (محاضرات الأدباء): ١/ ٢٢٣.

باب تحريم الظلم

٣٤ ـ عن جابر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: (اتَّقُوا الظُّلْمَ فإنَّ الظُّلمَ ظُلُماتٌ يومَ القيامةِ، واتَّقُوا الشُّحَّ فإنَّ الشُح أهْلك منْ كان قبلكُمْ حَمَلَهُمْ على أن سفكُوا دماءهم واسْتحلُوا مَحَارِمَهُمْ).

[رواه مسلم][1]

قال الله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ۝٧١﴾ [الحج: ٧١].
وقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝١١٣﴾ [هود: ١١٣].

قال الراغب: الظلم هو الانحراف عن العدل ولذلك حدَّ بأنه وضع الشيء في غير موضعه المخصوص به[2]، وهو قول كثير من العلماء، وقيل: الظلم أن يعاقب بذنوب غيره. وهو نوعان:

الأول: ظلم النفس، وأعظمه الشرك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ [لقمان: ١٣] وأكثر ماذكر في القرآن الكريم وعيد الظالمين إنما أريد به المشركون، كما قال

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: البر/ ١٥، ح (٥٦)، ٤/ ١٩٩٦م.
(٢) (الذريعة إلى مكارم الشريعة): ص/ ٣٥٧.

تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة:٢٥٤]، ثم تليه المعاصي على اختلاف أجناسها من كبائر وصغائر.

والثاني: ظلم العبد لغيره، وهو المذكور في خطبة حجة الوداع[1]. (**فإن الله تبارك وتعالى قد حرم دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم إلا بحقها، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا**)[2].

وقد جاءت آيات وأحاديث كثيرة في ذم الظلم، فالله ـ عز وجل ـ قد تقدس عن الظلم وحرمه علينا، ففي الحديث القدسي (**ياعبادي إني حرَّمتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**)[3] ولذلك فإن الظالمين لا أنصار لهم، ويوم القيامة إذ القلوب لدى الحناجر فلا قريب ينفعهم ولا شفيع يشفع لهم ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر:١٨].

ولا تركن يا أخي المسلم إلى ظالم فإنه سيصيبك ماأصابه ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود:١١٣].

ونهاية الظلم وشيكة، ولا يغرنك أخي المسلم إمهال الله لبعض الظلمة، فنهايتهم واقعة لا محالة. قال رسول الله ﷺ: (**إن الله لَيُمْلي للظالم فإذا أخذه لم يُفْلِته ثم قرأ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ**

---

(١) (جامع العلوم): ص١٩٥ ـ ١٩٦.
(٢) رواه البخاري في صحيحه: البر/١٥، ح (٥٥)، ٤/١٩٩٤.
(٣) رواه مسلم في صحيحه: البر/١٥، ح (٥٥)، ٤/١٩٩٤.

رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢][1].

كما أن نهايته وخيمة (الظلم ظلمات يوم القيامة)، وسيأتي الظالم يوم القيامة مفلساً من الخيرات **(أتدرون ماالمفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ماعليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار)**[2].

ولذلك فإن **(من كانت عنده مظلمة لأحد من عِرضه أو شيء فلْيتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه)**[3].

ونحن خير أمة أخرجت للناس ننتصر للمظلوم، قال رسول الله ﷺ **(انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قالوا: يارسول الله هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال: تأخذ فوق يديه)**[4].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: البر/ ١٥، ح (٦١)، ٤/ ١٩٩٧ ـ ١٩٩٨.
(٢) رواه مسلم في صحيحه: البر/ ١٥، ح (٥٩)، ٤/ ١٩٩٧.
(٣) رواه البخاري في صحيحه: المظالم/ ١٠، ٣/ ٩٩.
(٤) رواه البخاري في صحيحه: المظالم/ ٤، ٣/ ٩٨، ومسلم في صحيحه: البر/ ١٦، ح (٦٢)، ٤/ ١٩٩٨.

وتأخذ على يد الظالم، لأن ترك الظالم بدون عقاب إيذان بوقوع العقاب (**إن الناس إذا رأوا ظالماً فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب**)[١].

والحذر الحذر أخي المسلم من دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب (**اتق دعوة المظلوم، فإنها ليست بينها وبين الله حجاب**)[٢].

«قال معاوية ـ رضي الله عنه ـ: إني لأستحيي أن أظلم من لا أجد له ناصراً علي إلا الله.

وكتب عمر بن عبدالعـزيز ـ رضي الله عنه ـ إلى عامل له: إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس فاذكر قدرة الله عليك.

وقيل: الظلم أدعى شيء إلى تغيير نعمة، وتعجيل نقمة»[٣].

فالحذر الحذر أخي المسلم من الظلم فإن عاقبته وخيمة. فالحاكم هو الله المطلع على خائنة الأعين وماتخفي الصدور، ولا يعزب عنه شيء.

---

(١) رواه الترمذي في صحيحه: تفسير القرآن/ ٦، ح (٣٠٥٧)، ٤/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧. وقال: هذا حديث صحيح، والطبراني في (مكارم الأخلاق): ح (٧٩)، ص/ ٦٥ ـ ٦٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: المظالم/ ٩، ٣/ ٩٩.

(٣) (محاضرات الأدباء): ١/ ٢١٦.

والقبر مظلم مهول فتذكر حبسك.

والحساب طويل فخلص نفسك.

والسجن جهنم نزاعة للشوى فاشرِ نفسك.

باب تحريم الكبر

٣٥ ـ عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: (لا يدْخُلُ الجنَّة منْ كان في قلْبه مثقالُ ذرَّة من كِبْر. قال رجلٌ: إن الرجل يُحبُ أن يكون ثوبُهُ حسناً، ونعلُهُ حسنة؟ قال: إن الله جميلٌ يُحبُ الجمال، الكِبْرُ بطرُ الحق وغمْطُ الناس).

[رواه مسلم][1]

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٨٣﴾ [القصص: ٨٣]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝١٨﴾ [لقمان: ١٨]، وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٦٠﴾ [الزمر: ٦٠].

بطر الحق: «دَفْعُهُ وَرَدُّه على قائله، وغمْطُ الناس: احتقارهم»[2]. «والكبر والتكبر والاستكبار متقارب، فالكبر الحالة التي يختص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره»[3]، وأعظم ذلك أن يتكبر على ربه،

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: الإيمان/ ٣٩، ح (١٤٧)، ١/ ٩٣.
(٢) (رياض الصالحين): ص/ ٢٢٩.
(٣) (الذريعة إلى مكارم الشريعة): ص/ ٢٢٩.

بأن يمتنع من قبول الحق والإذعان له بالتوحيد والطاعة.. والتكبر يأتي على وجهين:

أحدهما: أن تكون الأفعال الحسنة زائدة على محاسن الغير، ومن ثم وصف سبحانه وتعالى بالمتكبر.

والثاني: أن يكون متكلفاً لذلك متشبعاً بما ليس فيه، وهو وصف عامة الناس، نحو قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر: ٣٥][1].

وفي حديث الباب الوعيد الشديد للمتكبر، وأنه لا يدخل الجنة دون مجازاة إن جازاه، وقيل هذا جزاؤه لو جازاه[2].

وقد جاءت آثار كثيرة في ذم الكبر وتحريمه، والوعيد الشديد لمن تكبر، ومنها حديث الباب، فالكبر من صفات أهل النار (**ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر**)[3].

ومن كان هذا صفته فلن يكلمه الله يوم القيامة ولا ينظر إليه (**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم، شيخ زان، وملك كذاب، وعائل**[4] **مستكبر**)[5]. ويلقى الله وهو عليه غضبان (**من تعظم في نفسه،**

---

(١) (فتح الباري): ١/ ٤٨٩.
(٢) (صحيح مسلم بشرح النووي): ٢/ ٩١.
(٣) رواه البخاري في صحيحه: الأدب/ ٦١، ٧/ ٨٩ ـ ٩٠.
(٤) العائل: الفقير (رياض الصالحين): ص/ ٢٣٠.
(٥) رواه مسلم في صحيحه: الإيمان/ ٤٦، ح (١٧٢)، ١/ ١٠٢ ـ ١٠٣.

أو اختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان)[١]، فيكون خاتمه أمره أن يُلقى على وجهه في النار، **(ومن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله على وجهه في النار)**[٢].

والكبر من صفات الله التي لا تليق بغيره، لأنه هو وحده له الأسماء الحسنى والصفات العُلى، وله المحامد كلها، وفي الحديث **(العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته)**[٣].

والعجب لابن آدم لِمَ يتكبر وقد جرى في مجرى البول مرتين، أوله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة، وهو بين ذلك حامل عَذِرة[٤].

فلم التكبر؟ ألمال؟ فالمال إلى زوال.

ألقوة؟ فالقوة مآلها إلى ضعف.

ألسلطان؟ فغداً يزول.

فالعجب كل العجب لمن يتكبر ويعرف أنه إلى موت

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند: ٢/١١٨، والحاكم في المستدرك: ١/٦٠، وصححه وتابعه الذهبي، والخرائطي في (مساوىء الأخلاق ومذمومها): ح (٥٧٧)، ص/٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في (التواضع)، ح (١٩٦)، ص/١٩٧، والهيثمي في (مجمع الزوائد): ١/٩٨، وعزاه لأحمد والطبراني في الكبير وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه مسلم في صحيحه: البر/٣٨، ح (١٣٦)، ٤/٢٠٢٣.

(٤) عذرة: أي الغائط. راجع (القاموس المحيط) مادة (عذر).

يصير، وإلى حفرة يؤول.

قال المأمون: «ماتكبر أحد إلا لنقص وجده في نفسه، ولا تطاول إلا لوهن أحس من نفسه»(١).

«ونظر الحسن - رضي الله عنه - إلى رجل يخطر في ناحية المسجد فقال: انظروا إلى هذا، ليس فيه عضو إلا ولله عليه نعمة وللشيطان فيه لعبة»(٢).

«وقيل: لا يتكبر إلا كل وضيع، ولا يتواضع إلا كل رفيع»(٣).

واعلم أخي المسلم أن نهاية الكبر وشيكة، والأمثلة على ذلك كثيرة، فقارون كان من قوم موسى، أنعم الله عليه، ولكنه تكبر وطغى، فماذا كانت نتيجته؟ قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ

(١) (محاضرات الأدباء): ١/ ٢٦٠.
(٢) (محاضرات الأدباء): ١/٢٦١.
(٣) (المستطرف): ١/١٩٨.

ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [القصص: ٧٦ـ٨١].

وقال رسول الله ﷺ: (بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خُسف به فهو يتجلجلُ[١] في الأرض إلى يوم القيامة)[٢].

وعن سلمة بن الأكوع ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: (**كل بيمينك قال: لا أستطيع، قال: لا استطعت، مامنعه إلا الكبر، قال: فما رفعها إلى فيه**)[٣].

فالحذر الحذر أخي المسلم من الكبر فنهايته مؤلمة، والأمثلة عليه كثيرة، قال عمران بن موسى المؤدب: «قرأت في بعض الكتب ما رأيت أحداً قط تكبر على من دونه إلا وبذلك المقدار يجود بالذلة لمن فوقه»[٤].

---

(١) يتجلجل: أي يغوص وينزل (رياض الصالحين): ص/ ٢٣٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: الأنبياء/ ٥٤، ٤/ ١٥٢ ـ ١٥٣، ومسلم في صحيحه: اللباس/ ١٠، ح (٤٩)، ٣/ ١٦٥٣.

(٣) رواه مسلم في صحيحه: الأشربة/ ١٣، ح (١٠٧)، ٣/ ١٥٩٩.

(٤) (مساوىء الأخلاق ومذمومها): ص/ ٢١١.

باب بيان غلظ تحريم شهادة الزور

٣٦ ـ عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أنبئُكُم بأكبر الكبائر؟ قُلنا: بلى يارسول الله، قال: الإشْراكُ بالله، وعقُوقُ الوالدين، وكان مُتَّكئاً فجلس، فقال: ألا وقوْل الزور، وشهادةُ الزُورِ، ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يقولها حتى قلتُ لا يسكت).

[متفق عليه][1]

قال الله تعالى: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠﴾ [الحج: ٣٠].
وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢].

«الزور: الباطل والكذب، وسمي زوراً، لأنه أميل عن الحق، ومنه ﴿تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾ [الكهف: ١٧]... وكل ماعدا الحق فهو كذب وباطل وزور»[2].

قال القرطبي: «شهادة الزور هي الشهادة بالكذب ليتوصل بها إلى الباطل من إتلاف نفس، أو أخذ مال، أو تحليل حرام، أو تحريم حلال، فلا شيء من الكبائر أعظم ضرراً منها، ولا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: الأدب/٦، ٧/٧٠ ـ ٧١، ومسلم في صحيحه: الإيمان/٣٨، ح (١٤٣)، ١/٩١.
(٢) (تفسير القرطبي): ١٢/٥٥.

أكثر فساداً بعد الشرك بالله»[١].

قال ابن دقيق العيد: «اهتمامه ﷺ بشهادة الزور يحتمل أن يكون لأنها أسهل وقوعاً على الناس والتهاون بها أكثر، ومفسدتها أكثر وقوعاً لأن الشرك ينبو عنه المسلم، والعقوق ينبو عنه الطبع، وأما قول الزور فإن الحوامل عليه كثيرة فحسن الاهتمام بها، وليس ذلك ليعظمها بالنسبة إلى ماذكر معها»[٢].

والذي لا يدع قول الزور فليس له أجر في صيامه لما له من إثم (**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه**)[٣].

---

(١) (فتح الباري): ٤١٢/١٠.

(٢) (فتح الباري): ٤١١/١٠ ـ ٤١٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه: الأدب/ ٥١، ٧/ ٨٧.

باب النهي عن التجسس

٣٧ ـ عن معاوية ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنك إن اتبعْت عَوْرات الناس أفسدْتهمْ، أو كِدْت أنْ تُفْسِدَهُمْ). فقال أبو الدرداء: كلمة سمعها معاوية من رسول الله ﷺ نفعه الله بها.

[رواه أبو داود](١)

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات: ١٢].

التجسس من الجس بمعنى اختبار الشيء باليد، وهي إحدى الحواس(٢). والمراد من حديث الباب النهي عن التجسس واتباع عورات المسلمين، لأن ذلك يؤدي إلى إفسادهم.

وقد جاءت آيات وأحاديث تنهى عن التجسس، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ ﴾ [الحجرات: ١٢]. وفي الحديث: **(ولا**

---

(١) رواه أبوداود في سننه: الأدب/ ٤٤، ح (٤٨٨٨)، ٥/ ١٩٩. وقال: النووي حديث صحيح. (رياض الصالحين): ص/ ٤٦٧.

(٢) (فتح الباري): ١٠/ ٤٨٢.

تحسسوا ولا تجسسوا)(١). قال بعض العلماء: «التحسس بالحاء الاستماع لحديث القوم، وبالجيم البحث عن العورات، وقيل بالجيم التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر مايقال في الشر، والجاسوس صاحب سر الشر، والناموس صاحب سر الخير، وقيل بالجيم أن تطلبه لغيرك، وبالحاء أن تطلبه لنفسك، قاله ثعلب، وقيل: هما بمعنى، وهو طلب معرفة الأخبار الغائبة والأحوال»(٢).

فالحذر الحذر أخي المسلم من التجسس واتباع عورات المسلمين (**فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته**)(٣) (**ومن ستر عورة مسلم في الدنيا ستر الله عورته في الآخرة**)(٤).

«ويستثنى من النهي عن التجسس مالو تعين طريقاً إلى إنقاذ نفس من الهلاك مثلاً، كأن يخبر ثقة بأن فلاناً خلا بشخص ليقتله ظلماً»(٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: الأدب/ ٥٧، ٧/ ٨٨.
(٢) (صحيح مسلم بشرح النووي): ١٦/ ١١٩.
(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده: ٥/ ٢٧٩.
(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده: ٢/ ٢٧٤.
(٥) (فتح الباري): ١٠/ ٤٨٢.

باب النهي عن الحسد

٣٨ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: (لا تباغضوا ولا تحاسدُوا ولا تدابرُوا وكُونُوا عِبادَ الله إخواناً، ولا يَحلُ لمسلم أن يَهْجُر أخاهُ فوق ثلاثة أيام).

[متفق عليه][1]

قال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ [الفلق: ٥].

قيل: الحسد تمني الشخص زوال النعمة عن مستحق لها، أعم من أن يسعى في ذلك أو لا، فإن سعى كان باغياً، وإن لم يسع في ذلك ولا أظهره ولا تسبب في تأكيد أسباب الكراهة التي نهى المسلم عنها في حق المسلم نظر: فإن كان المانع له من ذلك العجز بحيث لو تمكن لفعل فهذا مأزور، وإن كان المانع له من ذلك التقوى فقد يعذر، لأنه لا يستطيع دفع الخواطر النفسانية، فيكفيه له من ذلك في مجاهدتها أن لا

(١) رواه البخاري في صحيحه: الأدب/٥٧، ٧/٨٨، ومسلم في صحيحه: البر/٧، ح (٢٣)، ٤/١٩٨٣.

يعمل بها، ولا يعزم على العمل بها[١].

والغبطة أن تتمنى مثل حال صاحبك[٢] قال فضيل بن عياض: «الغبطة في الإيمان، والحسد من النفاق، والمؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط، والمؤمن يستر ويعظ وينصح، والفاجر يهتك ويعير ويفشي»[٣].

وفي حديث الباب النهي عن التحاسد والتدابر.

والحاسد عدو لنعم الله، متسخط لقضائه، غير راض بقسمته بين عباده.

والحسد أول ذنب عصى الله به في السماء حين حسد إبليس أبانا آدم ـ عليه السلام ـ، وزوجه.

وهو أول ذنب عصى الله به في الأرض حين حسد ابن آدم أخاه فقتله..

والحاسد لا تهدأ نفسه إلا عند زوال النعمة عن أخيه.

قال ابن السماك: إن الله تعالى أنزل سورة جعلها عوذة لخلقه من صنوف الشر، فلما انتهى إلى الإعاذة من الحسد جعلها خاتماً، إذ لم يكن بعده في الشر نهاية، والحسد أول ذنب عصي الله به في السماء وفي الأرض.

---

(١) (فتح الباري): ١٠/ ٤٨٢.
(٢) راجع (محاضرات الأدباء): ١/ ٢٥٢.
(٣) (حلية الأولياء): ٨/ ٩٥.

ولا راحة لحسود. قال الجاحظ: من العدل المحض والإنصاف الصريح أن تحط عن الحاسد نصف عقابه، لأن ألم جسمه قد كفاك مؤنة شطر غيظك.

كما أن الحسود لا يمكن إرضاؤه، قال معاوية: كل الناس يمكنني أن أرضيه إلا الحاسد، فإنه لا يرضيه إلا زوال نعمتي.

قال الشعبي: وجهني عبدالملك إلى ملك الروم، فلما انصرفت دفع إليَّ كتاباً مختوماً، فلما قرأه عبدالملك رأيته تغير، وقال: يا شعبي أعلمت ماكتب هذا الكلب؟ قلت: لا. قال: إنه كتب: لم يكن العرب أن تملك إلا من أرسلت به إليَّ؟ فقلت: ياأمير المؤمنين إنه لم يرك، ولو رآك لكان يعرف فضلك، وإنه حسدك على استخدامك مثلي، فسري عنه.

وقيل: إنه اجتمع ثلاثة نفر فقال أحدهم لصاحبه: مابلغ في حسدك؟ قال: ماأشتهيت أن أفعل بأحد خيراً قط! فقال الثاني: إنك رجل صالح، أنا ما اشتهيت أن يفعل أحدٌ بأحد خيراً قط!.. فقال الثالث: مافي الأرض أفضل منكما، أنا مااشتهيت أن يفعل بي أحد خيراً قط.

كما أن الذي لا يحسد يكون في استراحة وطيب عيش. قال الأصمعي: رأيت أعرابياً أتى عليه عمر كثير، فقلت: أراك حسن الحال في جسدك؟ قال: نعم تركت الحسد فبقيت

نفسي[١].

عافاني الله وإياك أخي القارىء الكريم من الحسد، فإنه آفة عظيمة، وداء سقيم، وأعاذني الله وإياك من شر كل حاسد بغيض.

(١) راجع (محاضرات الأدباء): ١/٢٥٢ ـ ٢٥٦.

باب النهي عن سوء الظن

٣٩ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: (إياكُمْ والظَّنَّ، فإن الظنَّ أكْذَبُ الحديثِ، ولا تحسَّسوا ولا تجَسَّسُوا ولا تحاسدُوا ولا تدابرُوا ولا تباغضُوا وكُونُوا عِبادَ الله إخواناً).

[متفق عليه][1]

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

المراد من حديث الباب النهي عن ظن السوء. قال الخطابي: هو تحقيق الظن وتصديقه دون ما يهجس في النفس فإن ذلك لا يملك، ومراد الخطابي أن المحرم من الظن مايستمر صاحبه عليه، ويستقر، في قلبه دون مايعرض في القلب ولا يستقر فإن هذا لا يكلف به، ونقل عن سفيان أنه قال: الظن الذي يأثم به هو ماظنه وتكلم به، فإن لم يتكلم لم يأثم[2].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: الأدب/٥٧، ٧/٨٨، ومسلم في صحيحه: البر/٩، ح (٢٨)، ٤/١٩٨٥.

(٢) راجع (صحيح مسلم بشرح النووي): ١٦/١١٩.

«وأما وصف الظن بكونه أكذب الحديث، فللإشارة إلى أن الظن المنهي عنه هو الذي لا يستند إلى شيء يجوز الاعتماد عليه فيعتمد عليه، ويجعل أصلاً ويجزم به، فيكون الجازم به كاذباً، وإنما صار أشد من الكاذب، لأن الكذب في أصله مستقبح مستغن عن ذمه، بخلاف هذا فإن صاحبه بزعمه مستند إلى شيء، فيوصف بكونه أشد الكذب مبالغة في ذمه والتنفير منه، وإشارة إلى أن الاغترار به أكثر من الكذب المحض لخفائه غالباً، ووضوح الكذب المحض»(١).

(١) (فتح الباري): ١٠/ ٤٨٢.

بـاب التوبـة

٤٠ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: (لله أشدُ فرحاً بتَوْبَةِ عبده حين يتُوبُ إليه، مِنْ أحدكُمْ كان على رَاحِلته بأرض فلاة، فانفلتت منه. وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرةً فاضطجع في ظلَّها، وقد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها[1] ثم قال منْ شِدَّة الفرح: اللهمَّ أنت عبْدي وأنا ربُّك، أخطأ من شِدَّة الفَرَحِ).

[متفق عليه][2]

قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور:٣١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨].

أصل التوبة في اللغة الرجوع، يقال تاب وثاب بالمثلثة وآب بمعنى رجع، والمراد بالتوبة هنا الرجوع عن الذنب[3].

---

(١) الخطام كل ماوضع في أنف البعير ليقتاد به. (القاموس المحيط) مادة (خطم).

(٢) رواه البخاري في صحيحه: الدعوات/٤، ١٤٦/٧، ومسلم في صحيحه: التوبة/١، ح (٧)، ٢١٠٤/٤ ـ ٢١٠٥ واللفظ له.

(٣) (صحيح مسلم بشرح النووي): ٥٩/١٧.

قيل في حد التوبة: إنه ذوبان الحشا لما سبق في الخطا، فإن هذا يعرض لمجرد الألم ولذلك قيل: هو نار في القلب تلتهب، وصدع في الكبد لا ينشغب.

وقيل في التوبة: تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة(١).

«وقد اختلفت عبارات السلف عن التوبة النصوح، ومرجعها إلى شيء واحد. فقال عمر بن الخطاب وأبي بن كعب ـ رضي الله عنهما ـ: التوبة النصوح أن يتوب من الذنب ثم لا يعود إليه كما لا يعود اللبن إلى الضرع.

وقال الحسن البصري: هي أن يكون العبد نادماً على مامضى، مجمعاً على أن لا يعود فيه.

وقال الكلبي: أن يستغفر باللسان، ويندم بالقلب، ويمسك بالبدن»(٢).

والاستغفار تارة يذكر وحده، وتارة يقرن بالتوبة، فإن ذكر وحده دخلت معه التوبة، كما أنه إذا ذكرت التوبة وحدها شملت الاستغفار، فالتوبة تتضمن الاستغفار، والاستغفار يتضمن التوبة، وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق، قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

(١) (التوبة إلى الله): ص/ ٢٢.
(٢) (مدارج السالكين): ١/ ٣٠٩.

﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ [نوح: ١٠ ـ ١١] والاستغفار هنا يتضمن التوبة وطلب المغفرة من الله، وهو محو الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره، وهذا هو الذي يمنع العذاب كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣] فإن الله لا يعذب مستغفراً، وأما من أصرَّ على الذنب وطلب من الله مغفرته فهذا ليس باستغفار، وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق ويتناول الأمرين.

أما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى، فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر مايخافه في المستقبل من سيئات أعماله، قال تعالى حكاية عن هود عليه السلام: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: ٥٢].

قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإنْ كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي، فلها ثلاثة شروط:

أحدها: أن يقلع عن المعصية.

والثاني: أن يندم على فعلها.

والثالث: أن يعزم ألا يعود إليها أبداً، فإن فقد أحد

الثلاثة لم تصح التوبة.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: تلك الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها. فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكَّنه منه، أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحلَّه منها، ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب، وبقي عليه الباقي(١).

وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب التوبة، والتوبة أهم قواعد الإسلام، وهي أول مقامات سالكي طريق الآخرة. ولا يجوز تأخير التوبة، فمتى أخرها عصى بالتأخير، قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور: ٣١] وقال تعالى: ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣].

وفي حديث الباب الحث على التوبة ولزومها، وأن الله يفرح ويرضى بتوبة عبده، ومن أجل ذلك نجد أن رسول الله ﷺ يحثنا على لزومها (يأيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم مائة مرة)(٢).

---

(١) (رياض الصالحين)، ص٢٤ ـ ٢٥.

(٢) رواه مسلم في صحيحه: الذكر/١٢، ح (٤٢)، ٤/٢٠٧٥ ـ ٢٠٧٦.

وللتوبة ثمار وهي:

١ ـ أن الله يفرح بتوبة عبده كما في حديث الباب.

٢ ـ أن التوبة تكفِّر السيئات حتى يصبح التائب كمن لا ذنب له، قال تعالى: ﴿إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وفي الحديث **(التائب من الذنب كمن لا ذنب له)**[١].

٣ ـ أن التوبة سبب في الفلاح، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١].

٤ ـ أن التوبة سبب في أن الله يكثر من بركات السماء والأرض ويزيد في الأموال والبنين، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢].

٥ ـ التوبة تمنع العذاب، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣].

«وكان قتادة ـ رضي الله عنه ـ يقول: القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، أما داؤكم فالذنوب، وأما دواؤكم فالاستغفار.

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه: الزهد/ ٣٠، ح (٤٣٠٤)، ٢/ ٤٣٨.

وكان علي ـ رضي الله تعالى عنه ـ يقول: العجب لمن هلك ومعه كلمة النجاة، قيل ماهي؟ قال: الاستغفار»(١).

وأول من تاب من البشر آدم ـ عليه السلام ـ وذلك بعد أن أكل من الشجرة ثم تاب، فتاب الله عليه، قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ٣٧].

اللهم اذهب ظلمة ذنوبنا بنور معرفتك وهداك، واجعلنا ممن أقبلت عليه فأعرض عمن سواك.

«اللهم امنن علينا بصفاء المعرفة، وهب لنا تصحيح المعاملة فيما بيننا وبينك على السنة، وارزقنا صدق التوكل عليك وحُسن الظن بك، وامنن علينا بكل مايقربنا إليك مقروناً بعوافي الدارين برحمتك ياأرحم الراحمين»(٢).

---

(١) (المستطرف): ٢/٣٤٤ ـ ٣٤٥.

(٢) هذا الدعاء من آخر ماكتبه الوالد ـ رحمه الله ـ.

فهـرس الآيات

م	الآيـــــة	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
١	فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم	البقرة	٣٧	١٧٤
٢	ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات	البقرة	١٤٨	٢٠
٣	فاذكروني أذكركم	البقرة	١٥٢	١٢٠
٤	يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة	البقرة	١٥٣	٦٣
٥	والذين آمنوا أشد حباً لله	البقرة	١٦٥	٢٧
٦	والكافرون هم الظالمون	البقرة	٢٥٤	١٤٨
٧	مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله	البقرة	٢٦١	٧٣
٨	وماتنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وماتنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون	البقرة	٢٧٢	٧٢،٧١
٩	وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم	البقرة	٢٧٢	٧٢،٧١
١٠	قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله	آل عمران	٣١	٣٣،٣٠،٢٧
١١	ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف	آل عمران	١٠٤	١١١
١٢	كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر	آل عمران	١١٠	١١١
١٣	الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين	آل عمران	١٣٤	١٤٣،٨١،٩
١٤	يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا	آل عمران	٢٠٠	٦١
١٥	واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام	النساء	١	٤٥
١٦	واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا	النساء	٣٦	٤٩
١٧	أم يحسدون الناس على ما آتاهم من فضله	النساء	٥٤	١٦٣
١٨	إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل	النساء	٥٨	١٢٤،٩٨

تابع فهرس الآيات

م	الآيـــــة	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩	فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكمون فيما شجر بينهم	النساء	٦٥	٢٨
٢٠	يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله	النساء	١٣٥	١٢٤
٢١	وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان	المائدة	٢	٢١
٢٢	يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط	المائدة	٨	١٢٤
٢٣	قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين	المائدة	١٥	٣٣،٢٠،١٩
٢٤	يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه	المائدة	٥٤	٨٩
٢٥	أو عدل ذلك صياماً	المائدة	٩٥	١٢٣
٢٦	يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم	المائدة	١٠٥	١١٤،١١٣
٢٧	ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً	الأنعام	٩٣	١٣٢
٢٨	وأنا لكم ناصح أمين	الأعراف	٦٨	١٠٧
٢٩	خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين	الأعراف	١٩٩	٨٥،٨١،٧٧
٣٠	واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة	الأعراف	٢٠٥	١١٧
٣١	وما كان الله ليعذبهم	الأنفال	٣٣	١٧٣،١٧١
٣٢	إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف	الأنفال	٣٨	٦٣
٣٣	يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا	الأنفال	٤٥	٦٣
٣٤	لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم	الأنفال	٦٣	٣٥
٣٥	وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم	التوبة	٢٢	٨٥
٣٦	قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها	التوبة	٢٤	٣١
٣٧	إن إبراهيم لأواه حليم	التوبة	١١٤	٨٢

تابع فهرس الآيات

م	الآيـــــة	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٨	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين	التوبة	١١٩	١٢٧
٣٩	بالمؤمنين رؤوف رحيم	التوبة	١٢٨	١١٦
٤٠	وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها	هود	٦	١٠١
٤١	ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً	هود	١٨	١٣٣، ١٣٢
٤٢	استغفروا ربكم	هود	٥٢	١٧١
٤٣	وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة	هود	١٠٢	١٤٩، ٤٦
٤٤	ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار	هود	١١٣	١٤٨، ١٤٧
٤٥	فصبر جميل	يوسف	٨٣	٦٥
٤٦	إنما أشكو بثي وحزني إلى الله	يوسف	٨٦	٦٥
٤٧	والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل	الرعد	٢١	٤٥
٤٨	والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم . . سلام عليكم بما صبرتم	الرعد	٢٢ ـ ٢٤	٦٢
٤٩	ألا بذكر الله تطمئن القلوب	الرعد	٢٨	١٢٠
٥٠	واخفض جناحك للمؤمنين	الحجر	٨٨	١١٥
٥١	وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم	النحل	٩١	١٠٥
٥٢	وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً . . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة	الإسراء	٢٣ ـ ٢٤	٤١
٥٣	وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً	الإسراء	٣٤	١٠٦، ١٠٥
٥٤	ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً	الإسراء	٣٦	١٣١، ٩٤، ٩٣
٥٥	تزاور عن كهفهم	الكهف	١٧	١٥٩

تابـع فـهـرس الآيات

م	الآيـــة	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٦	واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء			
	أنزلناه من السماء	الكهف	٤٥ ـ ٤٦	٥٥
٥٧	وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة	الكهف	٨٢	١٣
٥٨	واجتنبوا قول الزور	الحج	٣٠	١٥٩
٥٩	لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن			
	يناله التقوى منكم	الحج	٣٧	٢٣، ٢٤
٦٠	ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه	الحج	٣٠	١٤٥
٦١	وما للظالمين من نصير	الحج	٧١	١٤٧
٦٢	وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون			
	لعلكم تفلحون	النور	٣١	١٦٩، ١٧٢، ١٧٣
٦٣	نور على نور	النور	٣٥	١٧، ١٩، ٢٠
٦٤	فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن			
	تصيبهم فتنة	النور	٦٣	١١٣
٦٥	والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم			
	يقتروا وكان بين ذلك قواماً	الفرقان	٦٧	٢٠
٦٦	والذين لا يشهدون الزور	الفرقان	٧٢	١٥٩
٦٧	واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين	الشعراء	٢١٥	٨٩
٦٨	وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه	القصص	٥٥	١٣٦
٦٩	إن قارون كان من قوم موسى فبغي عليهم . .			
	وماكان من المنتصرين	القصص	٧٦ ـ ٨١	١٥٦، ١٥٧
٧٠	تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون			
	علواً في الأرض ولا فساداً	القصص	٨٣	١٥٣

تابــع فهــرس الآيات

م	الآيـــة	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٧١	ووصينا الإنسان بوالديه حسناً	العنكبوت	٨	٤١
٧٢	إن الشرك لظلم عظيم	لقمان	١٣	١٤٧
٧٣	وإن جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم	لقمان	١٣	٤٣
٧٤	ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور	لقمان	١٨	١٥٣
٧٥	وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا	السجدة	٢٤	٦٣
٧٦	وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ماتعمدت قلوبكم	الأحزاب	٥	٢٣
٧٧	لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة	الأحزاب	٢١	٣٣
٧٨	وماكان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة	الأحزاب	٣٦	٣٣
٧٩	ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً	الأحزاب	٤١ ـ ٤٢	١١٧
٨٠	إنا عرضنا الأمانة على السماوات	الأحزاب	٧٢	٩٨
٨١	فبشرناه بغلام حليم	الصافات	١٠١	٨٢
٨٢	إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب	الزمر	١٠	٦١
٨٣	قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله	الزمر	٥٣	١٧٢
٨٤	أليس في جهنم مثوى للمتكبرين	الزمر	٦٠	١٥٣
٨٥	ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع	غافر	١٨	١٤٨
٨٦	كذلك يطبع الله على كل قلـب متكبـر جبـــار	غافر	٣٥	١٥٤

تابع فهرس الآيات

م	الآيــــة	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٨٧	وأمرت لأعدل بينكم	الشورى	١٥	١٢٤،١٢٣
٨٨	والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش	الشورى	٣٧	١٤٣
٨٩	الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين	الزخرف	٦٧	٣٨
٩٠	فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل	الأحقاف	٣٥	٦٣
٩١	فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم	محمد	٢١	١٢٧
٩٢	فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض	محمد	٢٢	٤٦
٩٣	محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار	الفتح	٢٩	١١٦،١١٥
٩٤	وأقسطوا إن الله يحب المقسطون	الحجرات	٩	١٢٣
٩٥	إنما المؤمنون إخوة	الحجرات	١٠	٥٣
٩٦	ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً	الحجرات	١٢	١٦٧،١٦١،١٣٥
٩٧	مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد	ق	١٨	٩٤،٩٣
٩٨	والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم	الحشر	٩	٣٥
٩٩	واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون	الجمعة	١٠	١٢٠،١١٧
١٠٠	ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب	الطلاق	٢	١٠٣،١٠٢
١٠١	ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً	التحريم	٨	١٦٩
١٠٢	وإنك لعلى خلق عظيم	القلم	٤	٣٢
١٠٣	هماز مشاء بنميم	القلم	١١	١٣٩

تابـــع فهـــرس الآيات

م	الآيـــة	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
١٠٤	فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً	نوح	١٠ـ ١٢	١٧٠، ١٧١، ١٧٣
١٠٥	بل الإنسان على نفسه بصيرة، ولو ألقى معاذيره	القيامة	١٤ـ ١٥	١٦
١٠٦	إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً	الإنسان	٣	١٦
١٠٧	وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى	النازعات	٤٠ـ ٤١	٦٢
١٠٨	ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين	البلد	٨ـ ١٠	١٥، ١٦
١٠٩	ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة	البلد	١٧ـ ١٨	٦٣
١١٠	ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها	الشمس	٧ـ ٨	١٥، ١٦
١١١	وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين	البينة	٥	٢٣
١١٢	ومن شر حاسد إذا حسد	الفلق	٥	١٦٣

فهـــرس الأحاديـث

الحديث رقم الصفحة

١ ـ آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف . . . ١٠٥
٢ ـ أتدرون ماالغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم ١٣٥
٣ ـ أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ١٤٩
٤ ـ أتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب ١٤٥
٥ ـ اتق دعوة المظلوم فإنها ليست بينها وبين الله حجاب . . . ١٥٠
٦ ـ اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ١٤٧
٧ ـ اتقوا النار ولو بشق تمرة ٧٣
٨ ـ إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه ٣٩
٩ ـ إذا أحب الله عبداً نادى جبريل إن الله يحب فلاناً ٣٧
١٠ ـ إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال كيف إضاعتها ٩٩
١١ ـ إذا غضبت قائماً فاقعد وإذا غضبت قاعداً فقم ١٤٤
١٢ ـ إذا كذب العبد تباعد عنه الملك ١٣٢
١٣ ـ أرب ماله فقال النبي ﷺ: تعبد الله لا تشرك به شيئاً . . . ٤٦
١٤ ـ أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ١٣١
١٥ ـ ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك

الناس ٥٨
١٦ ـ استحيوا من الله حق الحياء ٦٩
١٧ ـ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ١٠
١٨ ـ ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر ١٥٤
١٩ ـ ألا أخبركم بمن يحرم على النار ٧٨
٢٠ ـ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا بلى يارسول الله ... ٤٣، ١٥٩
٢١ ـ الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ٦٤
٢٢ ـ الدين النصيحة قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ... ١٠٧
٢٣ ـ المتحابون في جلالي لهم منابر من نور ٣٦
٢٤ ـ اليد العليا خير من اليد السفلى ٧٣
٢٥ ـ أمك، قال: ثم مَنْ؟ قال: أمك ٤٣
٢٦ ـ إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه ٤٣
٢٧ ـ إن أقواماً بالمدينة خلفنا ماسلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا ٢٦
٢٨ ـ إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ٩٧
٢٩ ـ إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه ٢١
٣٠ ـ إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ... ١٢٧
٣١ ـ إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار ... ١٤٤
٣٢ ـ إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ٨٩
٣٣ ـ إن الله تجاوز لأمتي ماحدثت به أنفسها مالم يتكلموا أو

يعملوا به ٢٥
٣٤ ـ إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون في جلالي ٣٦
٣٥ ـ إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي
على العنف ٧٧
٣٦ ـ إن الله طيب يحب الطيب ٧٣
٣٧ ـ إن الله كتب الإحسان على كل شيء ٧٨
٣٨ ـ إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته ١٤٨
٣٩ ـ إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين
الرحمن ١٢٣
٤٠ ـ إن الناس إذا رأوا ظالماً فلم يأخذوا على يديه ١٥٠
٤١ ـ إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً ١٠
٤٢ ـ أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى ٣٦
٤٣ ـ إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناه ٨١
٤٤ ـ إن لكل دين خلقاً وإن خلق الإسلام الحياء ٦٨
٤٥ ـ إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً ١١
٤٦ ـ إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى ... ٢٣، ٢٥
٤٧ ـ إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ١٠
٤٨ ـ إنما يرحم الله من عباده الرحماء ١١٦
٤٩ ـ إنما يكذب الكاذب من مهانة نفسه عليه ١٣١
٥٠ ـ إنه من لا يرحم لا يُرْحم ١١٥
٥١ ـ إنهما ليعذبان ومايعذبان في كبير ١٤٠
٥٢ ـ إني لأعرف كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد ١٤٤

٥٣ ـ انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ١٤٩
٥٤ ـ أنفق أنفق عليك، وقال:يد الله ملأى لا يغيضها نفقة ... ٧١
٥٥ ـ إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم ١٦١
٥٦ ـ إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم ١٦
٥٧ ـ أول مايرفع من هذه الأمة الحياء.............. ٩٩
٥٨ ـ أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ٣٨
٥٩ ـ إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ١٦٧
٦٠ ـ البر حسن الخلق والإثم ماحاك في صدرك وكرهت أن
يطلع عليه الناس ١٥
٦١ ـ بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ١١٤
٦٢ ـ بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خسف به ١٥٧
٦٣ ـ بينما رجل يمشي بفلاة من الأرض ٧٢
٦٤ ـ التائب من الذنب كمن لا ذنب له............. ١٧٣
٦٥ ـ تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما ٢٠
٦٦ ـ تقوى الله وحسن الخلق ١١
٦٧ ـ تهادوا تحابوا..................... ٣٩
٦٨ ـ ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ١٥٤
٦٩ ـ ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله
ورسوله أحب إليه مما سواهما .... ٢٧، ٣٦
٧٠ ـ حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام........ ٤٦
٧١ ـ حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه من الخير.......... ٥٣
٧٢ ـ الحياء خير كله ٦٧

٧٣ ـ الحياء كله خير ٦٧
٧٤ ـ الحياء لا يأتي إلا بخير ٦٧
٧٥ ـ خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه ٥٠
٧٦ ـ الخيل لرجل أجر ولرجل ستر ٢٤
٧٧ ـ رحمة الله على موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر ٨٢، ٨٣
٧٨ ـ رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف ٤١
٧٩ ـ الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ٥٥
٨٠ ـ سبق المفردون قالوا: وما المفردون؟........... ١١٩
٨١ ـ الصلاة على وقتها، قلت: ثم أي ٤٢
٨٢ ـ العز إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته ١٥٥
٨٣ ـ فآمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره ١١٩
٨٤ ـ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ٣٧
٨٥ ـ فإن الله تبارك وتعالى قد حرم دماءكم وأموالكم وأعراضكم ١٤٨
٨٦ ـ فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن................ ١٩
٨٧ ـ فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته ١٦٢
٨٨ ـ فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها ٤٢
٨٩ ـ قال لصبي: هاك ثم لم يعطه ١٣٢
٩٠ ـ قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافاً وقنعه الله ٥٨
٩١ ـ لا إيمان لمن لا أمانة له.................. ٩٩
٩٢ ـ لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا........... ١٦٣

٩٣ ـ لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً ٢١
٩٤ ـ لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق ٣٨
٩٥ ـ لا تنزع الرحمة إلا من شقي ١١٦
٩٦ ـ لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك.. ٣٢
٩٧ ـ لا يدخل الجنة قاطع رحم ٤٧
٩٨ ـ لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ... ١٥٣
٩٩ ـ لا يدخل الجنة نمام ١٣٩
١٠٠ ـ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ٢٩
١٠١ ـ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين ٣١
١٠٢ ـ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه. ٢١، ٣٥
١٠٣ ـ لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به.... ٢٨
١٠٤ ـ لقد احتظرت واسعاً...................... ٧٨
١٠٥ ـ لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوي مايجد دقلاً . ٥٨
١٠٦ ـ لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته ١٦٩
١٠٧ ـ لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس ١٣٦
١٠٨ ـ لم يكن رسول الله فاحشاً ٩
١٠٩ ـ ليبلغ الشاهد منكم الغائب ٧
١١٠ ـ ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ١٤٣

١١١ ـ ليس الغني عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس . ١٠١
١١٢ ـ لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ٤٧
١١٣ ـ كان النبي ﷺ أجود الناس وأجود مايكون في رمضان . ٧٤
١١٤ ـ كان رجل فيمن كان قبلكم يبايع بالأمانة ٩٩
١١٥ ـ كل بيمينك قال: لا أستطيع قال: لا استطعت ١٥٧
١١٦ ـ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ٥٥
١١٧ ـ ما أعددت لها، قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا
صوم ٢٩
١١٨ ـ مارأيت أحداً كان أرحم من رسول الله ﷺ ١١٦
١١٩ ـ مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه . . ٤٩
١٢٠ ـ ماسئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه . . . ٧٤
١٢١ ـ ماشبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين . . . ٥٩
١٢٢ ـ ماشبع نبي الله ﷺ وأهله ثلاثة أيام تباعاً ٥٩
١٢٣ ـ ماكان خلق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب . . . ١٣٢
١٢٤ ـ ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة ١٠
١٢٥ ـ ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم
الله الذي لا يضر مع اسمه شيء ١١٩
١٢٦ ـ ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه ١٦
١٢٧ ـ ما نقصت صدقة من مال ومازاد الله عبداً بعفو إلا عزاً . ٨٥
١٢٨ ـ مايكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ٦١
١٢٩ ـ مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت ١١٧
١٣٠ ـ مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا

على سفينة ١١٢
١٣١ ـ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ١١٦
١٣٢ ـ من أصابته فاقة فأنزلها في الناس لم تسد فاقته ١٠٣
١٣٣ ـ من تعظم في نفسه أو اختال في مشيته ١٥٤
١٣٤ ـ من تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئاً ١٠٣
١٣٥ ـ من حفظ على أمتي أربعين حديثاً ٦٠
١٣٦ ـ من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ١١١
١٣٧ ـ من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم
القيامة ١٣٦
١٣٨ ـ من سأل الناس تكثراً فإنما يسأل جمراً ١٠٤
١٣٩ ـ من سره أن يبسط له في رزقه ٤٥
١٤٠ ـ من صمت نجا ٩٥
١٤١ ـ من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه ٣٧
١٤٢ ـ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ٥٠
١٤٣ ـ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ٩٣
١٤٤ ـ من كانت عنده مظلمة لأحد من عرض أو شيء فليتحلله
منه ١٤٩
١٤٥ ـ من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ١٣٣
١٤٦ ـ من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه ١٤٣
١٤٧ ـ من لا يرحم لا يُرْحم........................ ١١٥
١٤٨ ـ من لم يدع قول الزور والعمل به ١٦٠
١٤٩ ـ من يحرم الرفق يحرم الخير........................ ٧٨

١٥٠ ـ نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها ٧
١٥١ ـ نعم فقيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ فقال: نعم ١٣١
١٥٢ ـ هم القوم لا يشقى لهم جليس ٥
١٥٣ ـ وإذا غضب أحدكم فليسكت ١٤٥
١٥٤ ـ والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ٣٥
١٥٥ ـ والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ١١٣
١٥٦ ـ والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن ٥٠
١٥٧ ـ وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة . . . . ١٠، ١١
١٥٨ ـ وأنه من يستعفف يعفه الله ١٠٣
١٥٩ ـ ولا تحسسوا ولا تجسسوا . . . . ١٦١، ١٦٢
١٦٠ ـ وليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه ٤٧
١٦١ ـ ومن ستر عورة مسلم في الدنيا ستر الله عورته يوم القيامة ١٦٢
١٦٢ ـ ومن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ١٥٥
١٦٣ ـ ويحك يا أنجشة رويداً سوقك بالقوارير ٧٩
١٦٤ ـ يا أباذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ٥٠
١٦٥ ـ يا أخي لا تنسنا من دعائك ٣٨
١٦٦ ـ ياأيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم مائة

مرة ١٧٢
١٦٧ ـ ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي ١٤٨
١٦٨ ـ يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ١١٩
١٦٩ ـ يقول الله: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها .. ٢٦

فهرس المراجع

١ ـ إحياء علوم الدين/ محمد بن محمد الغزالي ـ بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٢هـ نسخة مصورة.

٢ ـ أخبار أبي حنيفة وأصحابه/ حسين بن علي الصيمري ـ الهند: مطبعة المعارف الشرقية، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

٣ ـ أدب المجالسة وحمد اللسان وفضل البيان وذم العي وتعليم الإعراب وغير ذلك/ يوسف بن عبدالله المعروف بابن عبدالبر، تحقيق ودراسة سمير حلبي ـ طنطا: دار الصحابة للتراث، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

٤ ـ الأذكار/ يحيى بن شرف النووي الدمشقي، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ـ الرياض: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٥ ـ الأربعون الصغرى/ أحمد بن الحسن بن علي البيهقي ـ بيروت: دار الفكر، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٦ ـ . . . الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين رحمة الله عليهن أجمعين/ عبدالرحمن بن محمد بن الحسن بن عساكر، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، غزوة بدير ـ دمشق: دار الفكر، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٧ ـ بستان العارفين/ يحيى بن شرف النووي، تحقيق محمد الحجاز ـ حلب: مكتبة الدعوة، ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م.
٨ ـ تاريخ دمشق: تاريخ ابن عساكر/ علي بن الحسن المعروف بابن عساكر، صورة من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق وغيرها ـ المدينة المنورة: مكتبة الدار، ١٤٠٧هـ.
٩ ـ التواضع والخمول/ عبدالله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا، تحقيق وتعليق لطفي محمد الصغير، بإشراف نجم عبدالرحمن خلف ـ القاهرة: دار الإعتصام.
١٠ ـ التوبة إلى الله ومكفرات الذنوب/ محمد بن محمد الغزالي، دراسة وتحقيق عبداللطيف عاشور ـ القاهرة: مكتبة القرآن.
١١ ـ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم/ عبدالرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي ـ الرياض: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
١٢ ـ الجامع لأحكام القرآن/ محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ـ القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية.
١٣ ـ الحلم/ ابن أبي الدنيا، تحقيق وتعليق مجدي السيد إبراهيم ـ القاهرة: مكتبة القرآن.
١٤ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ أحمد بن عبدالله الأصبهاني ـ ط٣ ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٠هـ.

١٥ ـ ديوان الإمام الشافعي/ جمعه وعلق عليه محمد الزعبي ـ جدة: دار المطبوعات الحديثة، ط/٥، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م.
١٦ ـ الذريعة إلى مكارم الشريعة/ الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصبهاني، تحقيق ودراسة أبو اليزيد العجمي ـ المنصورة: دار الوفاء، ط/٢، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.
١٧ ـ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء/ محمد بن حبان البستي، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، محمد عبدالرزاق حمزة، محمد حامد الفقي ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.
١٨ ـ رياض الصالحين/ يحيى بن شرف النووي، تحقيق عبدالعزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق ـ الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
١٩ ـ سنن ابن ماجه/ محمد بن يزيد القزويني، حققه محمد مصطفى الأعظمي ـ الرياض: شركة الطباعة العربية السعودية، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
٢٠ ـ سنن أبي داود/ أبوداود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق عزت عبيد الدعاس، عادل السيد ـ حمص: دار الحديث، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٩م.
٢١ ـ سنن الترمذي/ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ـ مصر: مكتبة مصطفى

البابي الحلبي وأولاده، ط/ ٢، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.
٢٢ ـ سنن الدارمي/ عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، تحقيق السيد عبدالله هاشم يماني المدني، ١٣٨٦هـ، ١٩٦٦م.
٢٣ ـ سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي/ اعتنى به ورقمه وصنع فهارسه عبدالفتاح أبوغدة ـ حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط/ ٣، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م.
٢٤ ـ شرح الأربعين حديثاً النووية/ ابن دقيق العيد، ١٤٠٣هـ.
٢٥ ـ شرح السنة/ الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاويش ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
٢٦ ـ الصبر/ صالح بن ناصر الخزيم ـ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٧م.
٢٧ ـ صحيح البخاري/ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي ـ استنابول: المكتب الإسلامي، ١٩٧٩م.
٢٨ ـ صحيح مسلم/ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ـ الرياض: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
٢٩ ـ صحيح مسلم بشرح النووي/ الرياض: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٣٠ ـ طبقات الحنابلة/ محمد بن أبي يعلى، وقف على طبعه وصححه محمد حامد الفقي ـ القاهرة: مطبعة السنة المحمدية.
٣١ ـ العبودية/ أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي ـ القاهرة: مكتبة السنة المحمدية، ١٣٦٧هـ.
٣٢ ـ فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبدالباقي ـ الرياض: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
٣٣ ـ القاموس المحيط/ محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ط/٢، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
٣٤ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ علي بن أبي بكر الهيثمي، بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ط/٢، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
٣٥ ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء/ الراغب الأصبهاني ـ بيروت: دار مكتب الحياة.
٣٦ ـ مساوىء الأخلاق ومذمومها/ محمد بن جعفر بن سهل السامري الخرائطي، تحقيق ودراسة مجدي السيد إبراهيم ـ الرياض: مكتبة الساعي.
٣٧ ـ المستدرك على الصحيحين/ الحاكم النيسابوري، وبذيله

التلخيص/ للذهبي ـ حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية.
٣٨ ـ المستطرف في كل فن مستظرف/ محمد بن أحمد الأبشيهي ـ بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
٣٩ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل بيروت: دار صادر.
٤٠ ـ المفردات في غريب القرآن/ الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني ـ بيروت: دار المعرفة.
٤١ ـ مكارم الأخلاق/ عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي البغدادي المعروف بابن أبي الدنيا، حققه جيمز. أ. بلمي ـ فيسبادن: دار النشر شتاينر، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.
٤٢ ـ مكارم الأخلاق/ الطبراني، تحقيق فاروق حمادة ـ الرياض: الرئاسة العامة للإفتاء والبحوث العلمية والدعوة والإرشاد، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
٤٣ ـ المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها/ محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي، انتقاء أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني، تحقيق محمد مطيع الحافظ، غزوة بدير ـ دمشق: دار الفكر، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
٤٤ ـ موطأ الإمام مالك/ رواية يحيى بن يحيى الليثي، إعداد

أحمد راتب عرموش ـ بيروت: دار النفائس، ط/٧، ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م.

٤٥ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر/ المبارك بن محمد الجزري، المعروف بابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي ـ المكتب الإسلامي.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهـــداء	٣
المقدمـــة	٥
باب حسن الخلق	٩
باب مصدر الأخلاق	١٥
باب في التخلق بأخلاق القرآن	١٩
باب الإخلاص وإحضار النية	٢٣
باب حب الله	٢٧
باب حب الرسول ﷺ	٣١
باب الحب في الله	٣٥
باب بر الوالدين	٤١
باب صلة الرحم	٤٥
باب حق الجار والوصية به	٤٩
باب في أن يحب لأخيه مايحب لنفسه	٥٣
باب فضل الزهد في الدنيا	٥٥
باب الصـــبر	٦١

باب الحيـــاء وفضله ٦٧
باب الكرم والسخاء ٧١
باب الرفـــق ٧٧
باب الحلـــم ٨١
باب العفـــو ٨٥
باب التواضـــع ٨٩
باب لزوم الصمت وحفظ اللسان ٩٣
باب الأمر بأداء الأمانة ٩٧
باب القناعة والعفاف ١٠١
باب الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد ١٠٥
باب في النصيحة ١٠٧
باب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١١١
باب في الرحمة ١١٥
باب ملازمة الذكر وفضله ١١٧
باب في لزوم العدل ١٢٣
باب الصـــدق ١٢٧
باب تحريم الكذب ١٣١
باب تحريم الغيبة ١٣٥
باب تحريم النميمة ١٣٩
باب الحذر من الغضب ١٤٣
باب تحريم الظلم ١٤٧

باب تحريم الكبر ١٥٣
باب بيان غلظ تحريم شهادة الزور ١٥٩
باب النهي عن التجسس ١٦١
باب النهي عن الحسد ١٦٣
باب النهي عن سوء الظن ١٦٧
باب التوبــــة ١٦٩
فهــرس الآيـــات ١٧٥
فهــرس الأحاديـث ١٨٣
فهــرس المراجــع ١٩٣